الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت

معهد الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب القديم

موسومة بـ:

مفارقة رلاتباعية عند ابن قتيبة

د راسة في ضدوء نقد النقد

- إعداد الطلبة:

- هاشم رابح
- بوسعيد عبد القادر

- إشراف الدكتور:

دردار بشير

1438هـ*1439هـ

2017م*2018م

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين

شكر و عرفان

اللهم أجعلنا شكورين وأجعلنا صبورين، وأجعلنا في عيوننا صغارا وفي أعين الناس كبارا.

قبل كل شيء نحمد الله عز و جل الذي قدّرنا على إنجاز هذا العمل

المتواضع حمداً كثيراً مباركاً.

كلمة شكر وتقدير واحترام إلى كل أساتذتنا بقسم الأدب و اللّغات وبالأخص أساتذة اللّغة العربية و آدابها الذين لم يبخلوا علينا بمساعدتهم لنا.

كما نتقدم بالشكر الخاص إلى الدكتور المشرف "دردار بشير" الذي زادنا شرفا بإشرافه لنا.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد في انجاز هذا البحث ولو بكلمة طيبة .

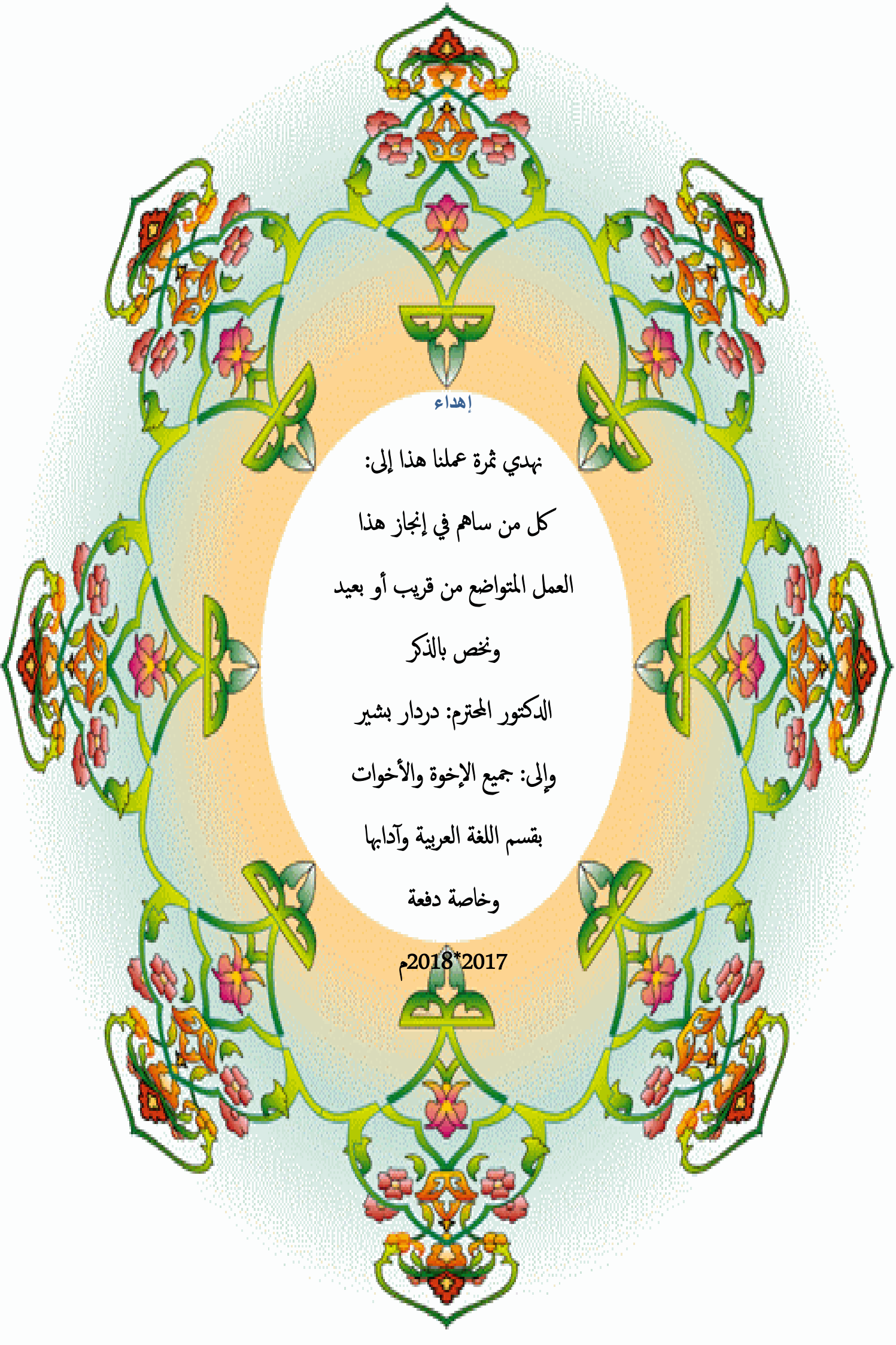

إهداء

نهدي ثمرة عملنا هذا إلى:

كل من ساهم في إنجاز هذا

العمل المتواضع من قريب أو بعيد

ونخص بالذكر

الدكتور المحترم: دردار بشير

وإلى: جميع الإخوة والأخوات

بقسم اللغة العربية وآدابها

وخاصة دفعة

2017*2018م

مقدمة

مقدمة:

يعتبر الصراع جوهر الحياة بكل صورها وأشكالها، فبدونه لا وجود للحياة. حتى وإن وجدت فلا معنى لها، حيث أن كل موجود مبني عليه؛ فهو قانون الحياة يسري على كل الموجودات من الأصغر إلى الأكبر، حيث أنهم يبحثون فيه عن الوجود الذي لا اعتبار للحياة بدونه.

يعد الصراع بين الموروث والمحدث أو بين القديم والجديد شكل من أشكال الصراع المتكررة والباقية إلى الأزل، والنقطة المحورية الأساسية فيه داخل المجتمعات. بحكم الرغبات والغرائز لكونها المسير الأول للأفراد، لذلك نلمحها دائما تبرز على سطح الأفكار، فهي المحور الذي تدور حوله حياة الإنسان لأنها تحفظ له جنسه وتبقيه بعد مماته.

إن قضية الخصومة بين القديم والحديث في ميدان النقد الأدبي من أبرز نماذج الصراع الفكري، وإن الزمان و المكان لم يكونا أبدا مقياسين صحيحين في دراسة الشعر والبحث عن الجيد منه، ولقد نال ابن قتيبة شهرة واسعة بفضل أفكاره النقدية التي ضمنها في كتابه "الشعر والشعراء"، على أن هذا لم يكن بالأمر السهل أو الهين خاصة إذا علمنا مقدار التوتر والمناخ الشعري والنقدي الذي كان سائدا في تلك الفترة، فلقد برز تيار شعري جديد اشتمل على اللفظ والمعنى كما أن فترة نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث هجري تعد من الحقب الزمنية التي برز فيها النقد بشكل كبير مع كثير من النقاد أمثال الجاحظ وابن المعتز والمبرد وغيرهم من النقاد الآخرين.

ولد لنا هذا الصراع نتاج فكري و أدبي واسع كانت قضية القديم والحديث هي الجوهر فيه، فانقسم النقاد حيال هذه الثورة الشعرية التجديدية مع بشار بن برد ومسلم بن الوليد وغيرهم إلى قسمين: قسم ينتصر للقديم ولعمود الشعر، ثم قسم آخر جديد متحرر يرى أن الشعر فن و صنعة وهكذا بدأت الخصومات النقدية على السطح فتعكرت صفوف النقاد وقد سلك ابن قتيبة في عرضه لأفكاره النقدية منهجا توفيقيا حاول من خلاله أن يعدل بين القديم، والمحدث وفق الجودة والحسن ضاربا

الزمان والمكان عرض الحائط، لكن موقفه هذا لم يكن واضحا بشكل كبير لما كان يعرفه من تناقضات جذبت انتباهنا فخطر إلى أذهاننا مجموعة من التساؤلات حاولنا الإجابة عنها في هذا البحث أهمها:

-ما طبيعة الصراع بين القديم والمحدث ؟

كيف كان موقف ابن قتيبة من هذه الخصومة؟

-وهل استطاع ابن قتيبة إن يطبق المنهج الذي وضعه في دراسته للشعر؟

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها كتاب "الشعر والشعراء "لابن قتيبة وكتاب "الخصومة بين القديم والحديث "لعثمان موافي وكتاب "تاريخ النقد عند العرب" لإحسان عباس وكتاب "تاريخ النقد الأدبي عند العرب" لطه أحمد إبراهيم، مرتكزين على المنهج التاريخي والتحليلي الاستقرائي وخطة بحث جاءت ملخصة كالآتي: مقدمة ومدخل كتمهيد للموضوع وفصلين كان عنوان الفصل الأول : النقاد القدماء وقضية القديم والمحدث شرحنا فيه الخصومة في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: الصراع بين القديم والمحدث قبل زمن ابن قتيبة، والمبحث الثاني: الصراع بين القديم والمحدث في زمن ابن قتيبة ثم المبحث الثالث: الصراع بين القديم والمحدث بعد ابن قتيبة. أما الفصل الثاني تناولنا فيه موقف ابن قتيبة بين إنصاف المحدث وتمجيدا للقديم، وبدوره أيضا كان ينطوي على أربعة مباحث: المبحث الأول التكوين المعرفي لابن قتيبة والمبحث الثاني: رأي ابن قتيبة النقدي في كتابه "الشعر والشعراء" ثم المبحث الثالث: أراءه النقدية في كتبه الأخرى، أما المبحث الرابع: فكان للمناقشة والتحليل لما سبق ذكره.

وأخيرا خاتمة كحوصلة للموضوع. وككل بحث صادفتنا مجموعة من الصعوبات والعراقيل أهمها ضيق الوقت، وصعوبة التحكم في المادة العلمية وطبيعة الموضوع المتشعبة. ولكن بمشيئة الله وعونه ثم بتوجيه المشرف وصبره استطعنا أن نتجاوز هذه العراقيل.

ولا يسعنا في هذا الصدد إلا أن نتقدم بالشكر والعرفان لأستاذنا المشرف الدكتور: "دردار بشير" وإلى كل من ساهم في إنجاح هذا البحث سواء من قريب أو من بعيد، راجين من المولى عز وجل أن نكون قد وفقنا في هذا إنجاز هذا العمل، وأن يكون ثمرة منفعة على الجميع فإن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فسبيلنا البحث والاجتهاد.

تيسمسيلت في 31 ماي 2018

مدخل

- النقد القديم قراءة الموروث
- اهتمام المعاصرين بالقدم والحداثة

مـــدخل:

أثارت المرحلة الأولى للنقد العربي نقاشا محتدما بين الباحثين المعاصرين، الذين اختلفوا في تقويم ما أثير حول هذه المرحلة، من أقوال شفوية، وأحكام موجزة مرتجلة، ومقايس ذوقية غير معللة، فذهب فريق إلى القول أن مرحلة العصر الجاهلي هي الفترة التي تطور عنها النقد، وبذلك فإن العرب عرفوا النقد انطلاقا من التلازم بين الشعر والنقد، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ أحمد طه إبراهيم حيث يقول: " وإذا كانت طفولة الشعر العربي قد غابت عنا، فإن طفولة النقد العربي غابت معها، وإذا كنا لا نعرف الشعر العربي إلا متقنا محكما قبيل الإسلام، فإننا لا نعرف النقد إلا في ذلك العهد " .[1]

ومذهب آخر قرأ النقد العربي على أنه امتداد لمفاهيم نقدية غربية دخيلة على المجتمع العربي، ورفض البدايات الأولى للنقد العربي، ليخلص أن النقد ظهر في القرن الثاني هجري، وقبل هذه الفترة فإنه نقد لا يعتد به، وهذا مذهب الدكتور مُحَمَّد مندور إذ يقول: " والذي حدث عند العرب تاريخيا هو أن النقد قد تأثر في [منهجه]، بالعقلية الجديدة التي كونتها فلسفة اليونان.... والتي اتخذتها المعتزلة وعلماء الكلام أساسا لمجادلاتهم في التوحيد والفقه، وهذا يفسر تغيره من نقد ذوقي مسبب يحاول أن يقصر أحكامه على الجزئية التي ينظر فيها، فإن سعي إلى تعميم لجأ إلى الاستقصاء واحتاط في الحكم، على نحو ما نرى عند الآمدي في موازنته ".[2]

والذي يهمنا في هذا أن النقد العربي نشأ مع الشعر وارتبط ظهوره به، تربى في كنفه وسار معه جنبا إلى جنب، كل واحد منهما يكمل الآخر حتى وصل الشعر إلى ما وصل إليه من الجودة

---

[1] – **طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب[من العصر الجاهلي حتى القرن الرابع الهجري]، بيروت، المكتبة العربية، 1401هـ–1981م، ص 24–25.**

[2] – **مُحَمَّد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، مصر 1996، ص11.**

والإتقان، يقول أحمد طه إبراهيم:" وأنه هذا الشعر مرّ بضروب كثيرة من التهذيب، حتى بلغ ذلك الإتقان الذي نجده عليه أواخر العصر الجاهلي...فلم يكن طفرة أن يهتدي العربي لوحده الرويّ في القصيدة، ولا لوحدة حركة الرويّ، ولا للتصريع في أوّلها ....لم يكن طفرة أن يعرف العرب كلّ تلك الأصول الشعرية في القصيد، وكل تلك المواضعات في ابتداءاته مثلا، وإنما عرف ذلك كله بعد تجارب، وبعد إصلاح وتهذيب، وهذا التهذيب هو النقد الأدبي ".[1]

كان لهذا النقد دور، في تطور الأدب بصفة عامة، والشعر بصفة خاصة، من خلال الحفاظ على عروبته والاهتمام بشواهده، وخوفا من تسرب لغة دخيلة عليه، فراح الرواة واللغويون يتتبعون ألفاظه ويستقون معانيه من منابعه العذبة الصافية، حيث البداوة واللغة ما زالت سليمة محافظة على أصالتها، فجعلوا بذلك من أصالة اللغة وفصاحتها معيارا لقبول الشعر أو رفضه، والتمسوها عند أهل البادية وتجنبوا كل من اختلط لسانه بأهل الحواضر، " وليس شعراء البادية أو الحاضرة في مستوي واحد من الفصاحة أو السلامة اللغوية، ولكنهم يتفاوتون في ذلك تفاوتا واضحا تبعا لدرجة تبديهم، وبعدهم عن المؤثّرات الأجنبية ".[2]

ولعل الذي ألزم اللغويين والرواة بهذا، هو مهنتهم في حد ذاتها، والتي فرضت عليهم البحث عن الشاهد في ثنايا الشعر، وذلك لتفسير آية أو حديث يدعم أقوالهم ويؤكدها، يقول ابن رشيق" هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه كالأصمعي وابن الأعرابي- أعني كل واحد منهم- يذهب في أهل عصره

---

[1] **-أحمد طه إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص17 .**

[2] **- عثمان موافي، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، دار المعرفة الجامعية، ط3، مصر2000، ص20.**

هذا المذهب، ويقدم من قبلهم، وليس ذلك لشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة ".[1]

وبعد انتقال العرب من حياة البداوة إلى حياة الحضارة، ومن حياة يعمها القلق وعدم الاستقرار إلى حياة مستقرة واعدة اشتقت معالمها من الحياة الفارسية، استجدت كثير من المعطيات، كوفود الغلمان والجواري، وشرب النبيذ، والغناء واللهو، فكان الشعر انعكاسا لهذا الواقع يصوره ويفسره ويواكبه، فرقت ألفاظه، وسهلت عباراته، ودقت معانيه، ولطفت أخيلته، يقول أبو الحسن الجرجاني:" فلما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت مماليك العرب، وكثرت الحواضر، ونزعت البوادي إلى القرى، وفشا التأدب والتظرّف، اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله....وتجاوز الحد في طلب التسهيل وأعانهم على ذلك لين الحضارة، سهولة طباع الأخلاق، فانتقلت العادة وتغير الرسم، وانتسخت هذه السنة، واحتذوا بشعرهم هذا المثال، وترققوا ما أمكن، وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ، فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين فيظن ضعفا، فإذا أفرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقا، وصار ما تخيلته ضعفا، رشاقة ولطفا ".[2]

وطبيعي أن يثير هذا التجديد على مستوي الشعر حفيظة كثير من النقاد والرواة اللغويين، الذين تعصبوا للقديم، والذين فهموا الشعر على أنه فن لغوي وحسب، وتربوا على حسب الذوق البدوي في التعبير، الذي يميل إلى جزالة التعبير، ومتانة اللفظ وفصاحته، وكانوا يعتبرون الخروج على ذلك ركاكة تعبيرية وضعفا لغويا، حتى وإن كان اللفظ عذبا والتعبير رشيقا، ومن ثم فقد كانوا يعملون بكل ما في

---

[1] – **ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: مُحَّد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط5، 1981م، ص90.**

[2] – **علي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح مُحَّد أبو الفضل إبراهيم وعلي مُحَّد البجاوي، دار القلم، ط4،بيروت، 1966م، ص18–19.**

وسعهما للإجهاز على هذا الشعر الجديد ووأده، وذلك بالتشكيك في أصالته الفنية وفي صياغته التعبيرية وفي مدي صلاحيته للاستشهاد الأدبي واللغوي،[1] فمفهوم القديم بالنسبة للرواة الأوائل كأبي عمرو بن العلاء، وحماد، وخلف الأحمر، كان مقتصرا على الشعر الجاهلي فقط، يقول الأصمعي: "جلست إلى أبي عمرو عشر حجج، ما سمعته يحتج ببيت إسلامي ".[2]

ومفهوم القديم بالنسبة للجيل الثاني من الرواة كالأصمعي وأبي عبيدة وابن الأعرابي وأقرانهم قد اتسع واشتمل مع شعراء العصر الجاهلي، بعض شعراء العصر الإسلامي، وقد وضعوا حدا زمنيا لآخر من يحتج بشعرهم من الإسلاميين، وهو على وجه التقريب سنة وخمسين ومائة للهجرة، وهي السنة التي توفي فيها ابن هرمة الذي يعد عندهم آخر من يحتج بشعره.[3]

وضع هذه القسمة واخترعها اللغويين والنحاة، وقد كان هذا البرزخ الذي وضعوه بين الشعر القديم والمحدث بداية تعصب شديد للقديم، لا يكاد يعرف له نظير، فقد سيطر اللغويون والنحاة على سوق الشعر في العصر العباسي، وعدوا أنفسهم حُماته وحراسه، فتمسكوا بالمثل الشعري القديم تمسكا شديدا، حتى أسقطوا كثيرا من الشعراء العباسيين، حتى نرى أبا عمرو بن العلاء يقول في المحدثين: "إنهم كلٌّ على غيرهم، إن قالوا حسنا فقد سبقوا إليه، وإن قالوا قبيحا فمن عندهم ".[4]

وقد اعترض الدكتور شوقي ضيف على هذا التعصب الذي تسبب في إهدار كثير من الشعر العباسي حيث يقول: "ولا شك في أن إهدار اللغويين لشعر العباسيين بسبب حداثته خطأ في التقويم، إذ الجودة الفنية لا تقاس بالقدم والحداثة، والشعر الجيد جيدٌ في كلّ زمان ومكان...ويأخذنا العجب

---

[1] – عثمان موافي، الخصومة بين القدماء والمحدثين، ص23.

[2] – ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص91.

[3] – عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد مُحَمَّد شاكر، ج2،دار المعارف، القاهرة،ص753.

[4] – الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص321.

حين نقرأ لهؤلاء الشعراء، فنراهم عربا تامين وكأنهم فصلوا توًّا من الجزيرة، ومع هذه العروبة اللغوية القوية فيهم، كان اللغويون لا يستشهدون بأشعارهم مخافة أن يحدث اضطراب في النموذج الشعري القديم ".[1]

ولم يرضخ المجددون للحملة الشعواء التي شنت ضدهم من طرف الرواة واللغويين، بل استفادوا منها فالنقد المتكرر لهم ووضع اللغويين القواعد والأسس التي يبنى عليه الشعر المتمثلة في الاشتقاق والنحو والعروض و الأوزان بالإضافة إلى عمود الشعر، وضع بين يدي المحدثين مادة ضخمة، أتاحت لهم التعرف على" جميع الآلات التي تعينهم لا على التثقيف بالعربية والتدرب عليها فحسب، بل أيضا أن يتقنوا التعبير عنها بها والتصرف فيها حسب حاجتهم الوجدانية والعقلية والحضارية ".[2]

يقول الجاحظ" ما رأيت أحدا كان أعلم باللغة من أبي النواس ولا أفصح لهجة مع حلاوة ومجانبة للاستكراه ".[3]

ولم يكن أبو نواس وحده الذي أتقن العربية وأجادها، فقد كان المجددون أغلبهم لا يقلون براعة عنه، حيث نجد بشار الفارسي زعيم المحدثين مفتخرا بنفسه يعلل إتقانه العربية فيقول:" ولدت ههنا (في البصرة) ونشأت في جحور ثمانين شيخا من فصحاء بني عُقَيْل، ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، وإن دخلت على نسائهم فنساؤهم أفصح منهم، وأيفعت فأبديت(دخلت البادية)إلى أن أدركت (بلغت الحلم) فمن أين يأتيني الخطأ ".[4]

---

[1] – شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر العباسي الأول–، دار المعارف، النيل القاهرة، د.ت، ط8، ص141.

[2] –المصدر نفسه، ص145.

[3] – أبو الفرج الأصفهاني، أخبار أبي نواس[ملحق الأغاني]، تحقيق على مهنت وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، ص06.

[4] – عبد الله محمَّد ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر 1976م، ص202.

ويعد بشار نموذجا للمولدين الذين برعوا في الشعر العربي بقصيده ورجزه، وتروى له في ذلك أشعار كثيرة، منها ما رواه أبو الفرج من أنه استمع إلى عقبة بن رؤبة وهو ينشد عقبة ابن سلم والي البصرة أرجوزة يمدحه بها، فلما فرغ منها " قال له: هذا طرازٌ لا تحسنه يا أبا معاذ، فغضب بشار وقال له: إلي يقال مثل هذا الكلام؟ أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك(يريد رؤبة العجاج) ومضى إلى منزله فألف أرجوزة بديعة، وغدا فأنشدها عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة وهي التي يستهلها بقوله:

يا طلل الحي بذات الصمد بالله خبّر كيف كنت بعدي

فطرب عقبة بن سلم وكافأه مكافأة كبيرة، وانكسر عقبة بن رؤبة انكسارا شديدا ".[1]

هذا التحكم الجيد في اللغة والشعر عند بشار وأقرانه من المجددين أعطى لهم الحق في التعبير عن متطلبات الحياة التي يقتضيها تطور هذا العصر، من خلال استحداث أساليب جديدة، تكون بمثابة الحلقة التي تصل بين لغة البداوة الزاخرة بالألفاظ الوحشية، ولغة العامة الزاخرة بالكلمات المبتذلة، أساليب تجمع بين الغرابة والابتذال، أو بعبارة أدق حلقة تجمع بين القديم والحديث.

"ولم يقف المحدثون عند هذا الحد فقط، بل حاولوا أن يجددوا كذلك في أعاريض الشعر وأوزانه، فاهتدى بشار إلى أوزان جديدة نظم منها تظرفا، واستعمل أبو العتاهية أوزانا غير التي نظم بها القدماء... ومن هذا التجديد ما ذاع واشتهر وعاش مزدهرا أزمانا كالبديع، ومنه انحصر في قليل من الشعراء كالدبياجة ومنه ما وئد فلم يعرف غير من ابتكروه، كالأوزان يضاف إلى ذلك التجديد المقصود ما جدّ في أشعار المحدثين بأثر البيئة والحضارة والثقافة والعلم الغزير والأمزجة الآرية، مما لابد

[1]– عبد الله محمّد ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، ص25

أن يكون له صداه في أخيلتهم وتصوراتهم وتأتيهم للمعاني، مما وجد النقاد له مظاهر شتى في هذه الأشعار كالإسفاف والإغراق، والإحالة ونقص الطبع وتفاوت النفس ".[1]

كان لهذه الحركة التي قام بها المجددون الأثر الكبير في تطور الشعر وأغراضه، بالإضافة إلى الأبعاد الجديدة التي فرضوها على النقاد والتي أوجبت عليهم خلق معايير جديدة لنقد الشعر في محاولة منهم لإنصاف المحدث وتلبية لمتطلبات الحياة والتطورات الحضارية التي شهدها المجتمع العباسي.

[1]– طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص125–124 .

الفصل الأول: النقاد القدماء وقضية القديم والمحدث

- المبحث الأول: الصراع بين القديم والمحدث قبل زمن ابن قتيبة
- المبحث الثاني: الصراع بين القديم والمحدث في زمن ابن قتيبة
- المبحث الثالث: ا الصراع بين لقديم والمحدث بعد زمن ابن قتيبة

الفصل الأول: النقاد القدماء وقضية القديم والمحدث

عرف الشعر في العصر العباسي نقلة نوعية عما كان عليه في العصر الأموي، مواكبًا بذلك جملة التطورات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي حصلت في هذا العصر، فظهرت فنون جديدة لم تكن معروفة من قبل، و تجدد اللغة والأساليب الشعرية، فأخذ الشعراء يبهرجون أشعارهم بكل أنواع البديع والجناس والطباق والاستعارة. وظن المحدثون وهم أنصار الجديد أن ما بأشعار القدماء من حسن وجودة هو سببه البديع، الذي جاء به الأقدمون فطرة دون تكلف منهم، هذا البديع الذي أصبح ظاهرة فنية عند المجدِّدين، غيّر ملامح أسلوب الخطاب الشعري. وأسس مدرسةً شعريةً جديدةً، يأتي على رأسها بشار بن برد، ومسلم بن الوليد، وأبو نواس، وأبو تمام وغيرهم.

ومن الجلي كما بيَّنا سابقا أن يختلف النقاد واللغويون والرواة حول هذا التجديد شكلاً ومضمونًا، بين منصف معتدل، وبين متعصب متحامل، وبين محايد لا لهؤلاء ولا لهؤلاء، ويعد الجاحظ وابن قتيبة هما أول من نظر إلى الشعر نظرةً فنيةً بعيدةً عن المعيار الزمني والتاريخي القديم، لذا سننطلق في دراستنا لهذا الفصل من هذه النقطة، بحيث سنحاول أن نبين نظرة النقاد والرواة واللغويين للقديم والمحدث قبل زمن قتيبة، ثم في زمن ابن قتيبة، ثم بعد زمن بعد زمن ابن قتيبة.

المبحث الأول: القديم والمحدث قبل زمن ابن قتيبة

كان النقد قبل زمن ابن قتيبة نقدا ذوقيا، يعتمد على الارتجال وتعصبّهم للقديم، فمعيار الجودة والرداءة عندهم هو ما جاء على نهج الأوَّلين، من استقامة المعني وصحَّة اللفظ، والتي تكَون في جملتها عمود الشعر عندهم، يقول أبي الحسن الجرجاني : "وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن، بشرف المعنى وصحَّته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلم السبق فيه، لمن وصف فأصاب وشبه فقارب وبده فأغزر ولمن كثر سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة، إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض".[1]

ولعل أول النقاد الذين وضعوا معياراً للشعراء ورتبوهم ترتيبا زمنيا يعتمد على القديم والحديث، هو الأصمعي في كتابه فحولة الشعراء، حيث حاول أن يرتب الشعراء حسب درجة فحولتهم وحسب درجة تبدِّيهم، فمصطلح الفحولة عنده مستمد من طبيعة حيوان الصحراء، وجاء هذا الاسم نتيجة تأثير الحياة البدوية فيه، والتي عاش فيها كثيرا أثناء جمعه للمفردات العربية وسماعه من الأعراب، يقول الدكتور إحسان عباس:" يعود بنا هذا المصطلح إلى طريقة الخليل بن أحمد في انتخاب الألفاظ الدالة على الشعر في طبيعة الحياة البدوية، فالفحل جملا كان أو فارسا، يتميَّز بما يناقض صفة — اللين- التي يكرهها الأصمعي في الشاعر، وبالفحولة يتفوق على ما عداه".[2]

فالفحل في نظر الأصمعي هو "من كان له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق"[3]، فنلاحظ أن الأصمعي قد ربط صورة الشاعر المنفرد والمتميِّز على غيره من الشعراء، بصورة الجمل الفحل القوي

---

[1] – أبو الحسن الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص 33–34.

[2]– إحسان عباس، تاريخ النقد عند العرب(نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، دار الثقافة بيروت، ط4، لبنان،1404هـ 1983م، ص51.

[3] – الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: ش .توري قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ص05.

الذي يقود سير الإبل، فهو هنا قد وقف عند الجمل في تصور الشاعرية، فالشاعر الفحل في نظر الأصمعي هو الذي تجتمع فيه قوَّة الشاعرية، ونبل العبارة، وغلبة الأقران، والتميز على غيره من الشعراء، فهو ذو خصوبة فكرية يتعاطى الألفاظ الجزلة القوية، ويتمتع بقدرته على توليد المعاني والسبك المتقن –من اجتمعت عنده عناصر عمود الشعر–، فالأصمعي يرى أن الشاعر "لا يصير في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب، ويسمع الأخبار، ويعرف المعاني، وتدور في مسامعه الألفاظ، وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزانا له عن قوله، والنحو ليصلح به لسانه، وليقيم إعرابه، والنسب وأيَّام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم ".[1]

فهذه جملة من الشروط التي أسَّسها الأصمعي وبني عليها مفهومه للشعر والشعراء.

بالإضافة إلى هذه الشروط وضع الأصمعي جملة من المعايير اعتمدها في تصنيف الشعراء من بينها معيار الزمن، والذي يعد من أهم المعايير النقدية التي اشتد حولها الجدل والخصام، ذلك أنه أفرز العديد من القضايا النقدية الخطيرة التي دارت حولها العديد من المعارك النقدية، ويعد هذا المعيار الأساس والأوحد في تحديد مراتب الشعراء، فهو العامل الوحيد الذي يحدد مكانة الشاعر على مر العصور، فله قيمة كبيرة عند كبار اللغويين أمثال أبو عمرو بن العلاء، والأصمعي وغيرهم، فقد انصب اهتمام هؤلاء النقاد كما أسلفنا على صيانة اللغة العربية الأصيلة من العبث، أو بعبارة أخرى إجلال الشعر القديم والرفع من شأنه حيث يرون فيه الحجة الدامغة والروح العربية الخالصة، فالأصمعي وضع هذا المعيار للرفع من شأن الشعراء الجاهليين الذين يراهم عماد الشعر العربي القديم،

[1]– ابن رشيق، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ص 329** .

وهذا واضح من خلال الآراء المبثوثة في الكتاب، سأله أبو حاتم عن جرير والفرزدق والأخطل فقال عنهم: "هؤلاء لو كانوا في الجاهلية كان لهم شأن، ولا أقول فيهم شيئا لأنهم إسلاميون".[1]

وقال عن الأخطل: "لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوما واحدا ما قدمت عليه جاهليا ولا إسلاميا "[2]، هذا ومع إقراره للأخطل بقوة الشاعرية فهو ينشد له عدة أبيات ثم يقول:" من قال لك أن في الدنيا أحدًا قال مثلها قبله ولا بعده فلا تصدِّقه ".[3]

وحين يسأله السجستاني عن الراعي وابن مقبل أيهما أشعر، يجيبه: "ما أقر بهما، قال السجستاني: لا يقنعنا هذا، فقال الأصمعي: لراعي أشبه شعرا بالقديم وبالأول".[4]وقال عن الكميت بن زيد: "ليس حجة لأنه مولد، وكذلك الطرماح"[5] . فالشعر عنده الجاهلي ثم الإسلامي وقسم من الأموي، وهو مع شهادته بأن هذا الشعر قوي متين، إلّا أنه لا يستطيع أن يخالف رأيه المنتشر في الشعر المحدث، روي إسحاق بن إبراهيم الموصلي أنشدت الأصمعي: "

هل إلى نظرة منك سبيل فيبل الصدى ويشفى الغليل

إنّ ما قلَّ منك يكثر عندي وكثير ممن تحب القليل

---

[1]– الأصمعي، فحولة الشعراء، ص13.

[2]– المصدر نفسه، ص13.

[3]– المصدر نفسه، ص13.

[4]–المصدر نفسه، ص12.

[2]– المصدر نفسه،ص20.

فقال: والله هذا الديباج الخسرواني لمن تنشدني؟ فقلت: إنهما لليلتهما، فقال: لا جرم والله، إن أثر التكلف فيهما ظاهر".[1]

يتبين لنا من هذا أن الأصمعي يعترف بشاعرية المحدثين، ولكنه على الرغم من ذلك لا يريد أن يصرح به لكي لا يخالف المشهور، ويتبين ذلك من خلال مثال ثانٍ أورده في كتابه قال أبو حاتم: "سألته آخر ما سألته قبيل موته من أول الفحول قال: النابغة الذبياني، ثم قال: ما أرى في الدنيا لأحد مثل قول امرئ القيس:

وقاهم جدهم ببني أبيهم وبالأشقين ما كان العقاب

قال أبو حاتم: فلما رآني أكتب كلامه فكر ثم قال: بل أولهم كلهم في الجودة امرؤ القيس له الحظوة والسبق، وكلهم أخذوا من قوله، واتبعوا مذهبه"[2]، فالأصمعي يقر بأن أول الشعراء الفحول هو النابغة، وظن أن كلامه هذا سيسمعه أبا حاتم فقط، فلما رآه يكتب عرف بأنه سينتشر، فذهب إلى الرأي المشهور بأن امرؤ القيس هو أولهم، .فهو لم يرد بذلك مخالفة من سبقه.

و هذا ما يبين لنا رفعة ومكانة الشاعر الجاهلي عند الأصمعي، فهو يري أن إدراك الشاعر للعصر الجاهلي يعد من أهم العوامل التي تجعل من الشاعر فحلا، فالفحول من الشعراء هم من الجاهليين فقط"[3]، كما نلمس من قوله في أمر جرير والفرزدق والأخطل مكانة للشاعر الإسلامي إلا أنه يتحرَّج في إصدار أحكام فيهم.

---

[1] – أبو الحسن الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص53.

[2] – الأصمعي، فحولة الشعراء، ص09.

[3] – ينظر، حسين الجدوانة، في النقد الأدبي القديم عند العرب، دار اليازوني للنشر، عمان الأردن، ص111.

فالملاحظ هنا أن الأصمعي يميل إلى الشعر الإسلامي أو الشعراء غير الجاهليين، لما في شعرهم من حلاوة وروعة، وجمال في صياغة الألفاظ، وسهولة في المعاني، ورقة في الأسلوب، إلا أن ذلك لم يمنعه من تمييز الشاعر الفحل وغير الفحل، فهو يعتبر الشاعر الجاهلي حجة وله مكانة سامية بين الشعراء، وذلك بسبب الفارق الزمني، فهو لا يكترث لجودة شعر الشاعر غير الجاهلي ولا لمكانته إلاَّ إذا أدرك الجاهلية، فالأصمعي له صرامة شديدة في الفصل بين الشعراء، وتعصبه للقديم واضحٌ وجلي، فهو لغويٌّ بالدرجة الأولى.

وسار على هذا النهج الكثير من النقاد واللغويين الذين رأو أن الخروج على هذا الطريق هو خروج على العادات والتقاليد والأعراف، ثم إن هذا الشعر تناقلوه من جيل إلى جيل، عبر رواة حرصوا على قدسيته وعظموا شأنه، حتى جعلوه برزخا لا يمكن لأي أحد أن يتجرأ على الخروج عليه، يقول ابن الأعرابي: "إنما أشعار هؤلاء المحدثين مثل أبي النواس وغيره. مثل الريحان يشم يوما ويذوي فيرقى به، وأشعار القدماء مثل المسك والعنبر كلما حركته ازداد طيبا.وأنشـده رجل شعرًا لأبي النواس أحسن فيه، فسكت، فقال له الرجل: أما هذا من أحسن الشعر!؟ قال بلى: ولكن القديم أحب إلى".[1] واجتمع ابن مناذر الشاعر في مأدبة مع خلف الأحمر، فقال لخلف: " يا أبا محرز، إن يكن النابغة وامرؤ القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة، فقس شعري إلى شعرهم، واحكم فيه بالحق، فغضب خلف، ثم أخذ صحفة مملوءة مرقا فرمي بها عليه"[2].

كان تعصب اللغويين والرواة للقديم شديدا، بل إن هذا المنطلق كان يجد صدى في نفوس بعض الشعراء الذين رأو في شعرهم امتداداً للشعر القديم فقد روي أن رجلا من تميم أتى الفرزدق يوما

---

[1] – **ابو عبد الله مُحَمَّد ابن عمران بن موسى المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ط1،1415هـ، ص384.**

[2] – **المصدر نفسه، ص384.**

فقال: " قد قلت شعرًا فانظر فيه، وأنشده، فقال الفرزدق: يا ابن أخي إن الشعر كان جملا بازلا عظيما فأخذ امرؤ القيس رأسه، وعمرو بن كلثوم سنامه، وعبيد بن الأبرص فخذه، والأعشى عجزه، وزهير كاهله، وطرفة كركرته، والنابغة جنبيه، وأدركناه ولم يبق إلا المذارع والبطون فتوزعناه بيننا".[1]

بهذا المنطلق أغلق القدماء على المحدثين كل أبواب التجديد، فلم يتركوا بابا ولا معنى إلا وطرقوه، فلم يتركوا شيئا للمحدثين، لذلك رفض القدماء شعر المحدثين جملة وتفصيلا، وعدوا كل تجديد لديهم ما هو إلا تكرار لما سبق. ولهذا نجد الأصمعي وابن الأعرابي وابن سلام الجمحي وغيرهم من النقاد واللغويين والرواة، قد وضعوا حدًا زمنيا للشعراء الذين يستشهد بشعرهم، فنجد ابن سلام وقد عاصر كوكبة من الشعراء الذين يشهد لهم بمتانة شعرهم، وقوة ديباجته من المولدين، أمثال أبي النواس وبشار بن برد وغيرهم، قد أقصاهم من طبقاته، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى تأثره بآراء القدماء وعدم مخالفته لهذا التقسيم. "ومع أن ابن سلام عاش في عصر المحدثين، وعاصر أمثال مروان بن أبي حفصة وأبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام، فإنه لم يتصد فيما كتب لشاعر محدث، واقتصر على الجاهليين والإسلاميين ".[2] ولعل إهمال ابن سلام لبعض الشعراء الإسلاميين أمثال عمر ابن أبي ربيعة، والطرماح بن حكيم، والكميت الأسدي، دليل آخر على تأثر ابن سلام بالقواعد والأسس التي بنى عليها القدماء نظرتهم للشعر.

ومن هذا المنطلق فأن المتتبع لتاريخ الشعر العربي القديم قبل زمن ابن قتيبة، يلاحظ كيف أن الشعر المحدث ظل حبيس الأحكام النقدية القديمة، التي لا تحتكم إلى ضوابط وأسس، وإنما هي مجرد أحكام عفوية تستند في معظمها إلى التعصب للقديم. بغض النظر عن تلك المحاولات التي أراد فيها بعض النقاد أمثال ابن سلام أن يضع ضمنها قوانين وأسس منهجية تقوم على رؤى نقدية لدراسة

---

[1]– – ابو عبد الله مُحَمَّد ابن عمران بن موسى المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، 552–553.

[2]– أحمد طه إبراهيم، تاريخ النقد عند العرب، ص81.

الشعراء، فإنه وعلى الرغم من ذلك لم يستطع في كثير من الأحيان أن يخالف آراء من سبقه من اللغويين والرواة أمثال الأصمعي وابن الأعرابي، وعمرو ابن العلاء، فتراه في كثير من الأحيان يستند إلى أقوالهم وآرائهم في التفضيل بين الشعراء الجاهليين فيورد ذلك دون محاولة التعليق أو يبين سبب ذلك يقول طه إبراهيم: "أن الكتاب أقدم وثائق النقد المدونة، فيه كثيرٌ من آراء الأدباء واللغويين التي انتفع بها فيما بعد من كتبوا في نقد الأدب، أو في سير الشعراء، كالآمدي صاحب الموازنة بين الطائيْن، وأبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني، وحسب كتاب ابن سلام أن يكون جماع القول في الشعر العربي في الجاهلية والإسلام".[1]

[1]– أحمد طه إبراهيم، تاريخ النقد عند العرب، ص86.

المبحث الثاني: القديم والمحدث في زمن ابن قتيبة

ظل الشعر قبل زمن ابن قتيبة حبيس القواعد والقوانين التي وضعها اللغويون والرواة وحتى الشعراء، يحتدم في قوة مع التجديد ومع ما يمليه تطور المجتمع العباسي، وما لبث أن بدأت ملامح ظهور جيل جديد، يدعوا إلى إنصاف القديم وإعطاء الفرصة للمجددين ليحملوا لواء القدماء ويكملوا مسيرة تطور الشعر، حسب ما يقتضيه تطور العصر.

وعمرو بن بحر بن عثمان الجاحظ هو أول أولئك العلماء القلائل الذين عاصروا ابن قتيبة ودعوا إلى الإنصاف في قضية المحدثين، والنظر إليهم بعين الحق، بغض النظر عن هذا الشعر إن كان قديما أو محدثا، حيث يسوق عمر بن بحر بيتا للبيد بقوله:

والشاعرون الناطقون أراهم سلكوا طريق مُرقش ومهلهل[1]

ثم جاء الجاحظ فيما بعد ليقول بصراحة: "والقضية التي لا أحتشم منها، ولا أهاب الخصومة فيها، أن عامة العرب والأعراب، والبدو والحضر، من سائر العرب أشعر من عامة شعراء الأمصار، والقرى والناتية، وليس ذلك بواجب لهم في كل ما قالوه. وقد رأيت أناسًا منهم يبهرجون أشعار المولدين، ويستسقطون من رواها، ولم أر قط ذلك في رواية للشعر غير بصير بجوهر ما يروي، ولو كان له بصر لعرف موضع الجيد ممن كان، وفي أي زمان كان "[2].

من هذا القول نلاحظ أن الجاحظ دعا إلى إنصاف الشعر الجيد بغض النظر عن قائله ودون النظر إلى العصر الذي كان يعيش فيه، وقد فطن الجاحظ إلى أن رأيه هذا قد يفسره بعض أنصار القديم

---

[1]– الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص207

[2]–الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، ج3، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، ص130–131.

على غير ما أراده فقال: "ليس من قال الشعر بقريحته وطبعه واستغنى بنفسه، كمن احتاج إلى غيره، يطرد شعره، ويحتذي مثاله، ولا يبلغ معاشره...لأنَّا لم ندفع فضل الأوائل من الشعراء، إنما قلنا: إنهم كانوا أعرابا أجلافا جفاة، لا يعرفون رقيق العيش ولا لذات الدنيا، لأن أحدهم إذا اجتهد عند نفسه شبه المرأة بالبقرة، والظبية والحية، فإن وصفها بالاعتدال في الخلقة شبهها بالقضيب، وشبَّه ساقها بالبردية، لأنهم مع الوحوش، والأجناس نشأوا فلا يعرفون غيرها.

وقد تعلم أن الجارية الفائقة الحسن أحسن من البقرة، وأحسن من الطبيبة وأحسن من كل شيء شبهت به. وكذلك قولهم: كأنها القمر، وكأنها الشمس، فالشمس وإن كانت حسنة، فإنما هي شيء واحدٌ، وفي وجه الإنسان الجميل، وفي خلقه ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب ومن يشك أن عين الإنسان أحسن من عين الظبية والبقرة، وأن الأمر بينهما متفاوت".[1]

"أي إنصاف للعرب والأعراب وتقدير لظروفهم أفضل من هذا الإنصاف، وأي دفاع منطقي متمكن، هذا الدفاع العقلي الذي يمسك بتلابيب المنافق المزاود، والمتعصب على العرب من غيرهم من أبناء الشعوب الأخرى، لقد أعطى الجاحظ العرب حقهم"[2]، وبين قدرتهم على قول الشعر بما يناسب بيئتهم، ويجري على أعرافهم وبعد أن بين الجاحظ موقفه من الشعر القديم، انتقل إلى المرحلة التالية وهي استجادة الجيد من الشعر القديم حيث يقول: "ونحن –أبقاك الله– إذا ادعينا للعرب أصناف البلاغة من القصيد والأرجاز ومن المنثور والأسجاع ومن المزدوج ومالا يزدوج، فمعنا العلم أن ذلك

*** الطرد والاطراد: الاصطياد والمراد التتبع**

[1]– .رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ج2، مفاخرة الجواري والغلمان، ص116.

[2]– محمَّد بن عبد العني المصري، نظرية أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار جدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1986م، ص54.

شاهدٌ صادق من الديباجة الكريمة، والرونق العجيب والسبك الجيد، والنحت الذي لا يستطيع أشعر الناس اليوم ولا أرفعهم في البيان أن يقول في مثل ذلك إلا اليسير والنبذ القليل".[1]

فهو يعترف أن تمكن القدماء من زمام اللغة وتملك مفاتيحها أكسبهم الفضل والامتياز على غيرهم في قريض الشعر، ومع هذا فالجاحظ أثناء تتبعه لرحلة المعنى عبر العصور يعترف في أكثر من مرة ببراعة المحدثين على مجاراة القدماء، في مثل هذا حيث يقول: " وقد أكثر الشعراء في ذكر النسور، وأثر ذلك في لُبَد النابغة:

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبدِ

فضربه مثلا في طول السلامة.

وقال لبيد:

لما رأي صبيحٌ* سواد خليله من بين قائم سيفه والمحمل

صبحن صبحا يوم حقّ حذراه فأصاب صبحا قائما لم يعقل

فالتفَّ منقصفا وأصحي نجمه بين التراب وبين حنو الكلكل

ولقد جري لُبَد فأدرك جريه ريب الزمان وكان غير مثقَّل

ولما رأى لُبد النسور تطايرت رفع القوادم كالفقير الأعزل

---

[1]–الجاحظ، البيان والتبيين، ج3، ص28.

* صبح : رجل من العمالقة أرضه بناحية اليمامة.

من تحته لقمان يرجو نفعه ولقد رأي لقمان أن لم يأثــل

وإن أحسنت الأوائل في ذلك، فقد أحسن بعض المحدثين وهو الخزرجي في ذكر النسور، وضرب المثل به وبلبَّد، وصحة بدن الغراب حيث ذكر طول عمر معاذ بن رجاء مولى القعقاع بن شور وهو قولـه:

إن معاذ بن مسلم رجلٌ قد ضج من طول عمره الأبد

قد شـاب رأس الزمان واختضب الدهـر وأثواب عمره حُـدد

يـا نسر لقمان كم تعيش وكم تلبس ثوب الحياة بالبَّد

قد أصبحت دار آدم خربت وأنت فيها كأنك الوتـد

نسأل غربانه إذا حجلت كيف يكون الصـداع والرمـد "[1]

ويواصل الجاحظ تتبعه لمصطلح النسور عبر الزمن فيقول: "فإن النسور تتبع العساكر، وتتبع الرفاق ذوات الإبل، وقد تفعل ذلك العقبان، وتفعله الرخم...وقد أكثر الشعراء في هذا الباب حتى أطنب بعض المحدثين وهو مسلم بن الوليد بن يزيد فقـال:

يكسوا السيوف نفوس الناكثين* به ويجعل الهام تيجان القنا الذُبل*

قد عوَّد الطير عادات وثقن بهـا فهن يتبعنه في كل مرتحل

[1] – الجاحظ، الحيوان، ج6، ص325–327 .

* الناكثين: الناقضون للعهد

* الذبـل: جمع ذابل، وهو الدقيق اللاصق القشر

ولا نعلم أحدا منهم أسرف في هذا القول وقال قولا لا يرغب عنه إلاّ النابغة فإنه قال:

جـوانح قد أيقن أن قبيله إذا ما التقى الجمعان أول غالب

وهذا لا نثبته، وليس عند الطير والسباع في اتباع الجموع إلا ما يسقط من ركابهم، ودوابهم، وتوقع القتل، إذا كانوا رأوا من تلك الجموع مرة أو مرار ".[1]

فهو بهذا ينصف مسلم بن الوليد والخزرجي وهما من المحدثين، ولم يكتفي الجاحظ بنقل هذا فقط بل تعداه إلى أبي النواس رغم ما يعرف عنه من تهاون بكل ما يتصل بالإسلام وتصريحه الجريء بمعاقرة الخمرة وجعلها مقدمة اشعاره ومهاجمته للقدماء، كل هذا وتناقضه مع المبدأ الاعتزالي الذي كان يتبنَّاه الجاحظ، إلا أن الجاحظ نظر إليه نظرة الأديب العالم المنصف الذي تذوق الشعر واستخرج مكنونه وعلم مواطن الجودة والرداءة فيه، فجعلها الحكم على ما يعرض عليه فيبين الجيد من الفاسد والقبيح من الحسن ولنسمع رأيّ الجاحظ في شعر أبي النواس وأراجيزه: "وأنا كتبت لك رجزه في هذا الباب، لأنه كان عالما راوية، وكان قد لعب بالكلاب زمانا، وعرف منها ما لا تعرفه الأعراب، وذلك موجود في شعره وصفات الكلاب مستقاة في أراجيزه، هذا مع جودة الطبع، وجودة السبك، والحذق بالصنعة، وإن تأملت شعره فضَّلته إلاَّ أن يعترض عليك فيه العصبية، أو ترى أن أهل البدو أبدا أشعر، وأن المولدين لا يقاربونهم في شيء، فإن اعترض هذا الباب عليك، فإنك لا تبصر الحق من الباطل ما دمت مغلوبا ".[2]

وبهذا يكون الجاحظ قد شهد لأبي النواس بالعلم والمعرفة وتفوقه حتى على العرب في وصفه للكلاب ومعرفة صفاتها، وهو يدعوا في هذا الحكم إلى السير على منواله بالتخلص من العصبية في

---

[1]– الجاحظ، الحيوان، ج3، ص322–327 .

[2]– الجاحظ، الحيوان، ج2، ص28.

أحكامنا كما فعل هو مع أبي النواس ولم يأمرنا إلا بما عمل أولا، وحذرنا من موقفنا المتعصب الذي يجعلنا نبتعد عن الحق، وهذه نصيحة صادقة مخلصة من رجل واعٍ، عرف مقدار ما يقدمه هؤلاء المحدثين من أشعار تضاهي في جودتها وسبكها أشعار القدماء، ويظهر ذلك جليا في قوله: "وأبيات أبي نواس- على أنه مولَّد شاطر- أو شعر من شعر مهلهل في إطراق الناس في مجلس كليب وهو يقول:

على خبز إسماعيل واقية البخل وقد حل في دار الأمان من الأكل

وما خبزه إلا كآوى يرى ابنها ولم تُر آوى في الحزون ولا السهل " [1]

فضل الجاحظ أبي النواس وقدمه وهو يعلم من حياته وسيرته ما يعلم، وكأنه يريد أن يفصل معتقداته وميوله عن دراسته الموضوعية، ويجعل هذا منهجا جديدا يعتمده النقاد بعده في دراسة الشعر.

ويتعرض الجاحظ لبشار بن برد وهو شيخ المحدثين وقائدهم فيقول: "ومن خطباء الأمصار وشعرائهم والمولدين منهم: بشار الأعمى، وهو بشار بن برد وكنيته أبو معاذ، وكان من أحد موالي بني عقيل...وكان شاعرا راجزا، وشجاعا خطيبا، وصاحب منثور مزدوج وله رسائل معروفة...

والمطبوعون على الشعر من المولدين: بشار العقيلي، والسيد الحميري، وأبو العتاهية، وابن أبي عيينة، وقد ذكر الناس في هذا الباب: يحي بن نوفل، وسلما الخاسر، وخلف بن خليفة، وأبَّان بن عبد الحميد اللاحقي أولى بالطبع من هؤلاء وبشار أطبعهم كلهم ".[2]

---

[1] -الجاحظ، الحيوان، ج3، ص129، 130.

[2] -الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص71-73.

يقول مُحَمَّد بن عبد العني المصري: "ولو دققنا النظر فيمن اعترف لهم الجاحظ بالطبع على الشعر من المولدين، لرأينا أولهم بشار وهو شعوبي معروف متطرف، والسيد الحميري وهو من الغالية الكيسانية التي تؤمن بألوهية الإمام علي كرم الله وجهه، باطني يدعو و يؤمن بالتفسير الباطني للقرآن، ويخرج علينا مع أبناء فرقته بتأويلات تدعوا للسخرية والرثاء، ومع هذا فقد اعترف له شيخ المعتزلة في زمانه ورئيس الفرقة الجاحظية أبو عثمان بالطبع على الشعر وهذه لعمري لشهادة قيمة.

وأما أبو العتاهية فهو دهري معروف بإنكاره للكثير من مبادئ العقيدة الإسلامية، ولا يمكن أن يلتقي مع أبي عثمان في المبدأ أو في الأصل فالرجل من الموالي أيضا. وابن أبي عيينة، وأبَّان اللاحقي هؤلاء من معاصري الحسن بن هانئ ومقلديه في فسقه وسلوكه وعقيدته ومع هذا فقد اعترف لهم جميعا بالطبع على الشعر وقدمهم على غيرهم من شعراء عصره ".[1]

وبهذا يكون أبو عثمان الجاحظ أول من أنصف المحدثين وأجل القدماء، ووضع نظريته النقدية الجديدة المبنية على أسس منطقية التي استنبطها من فكره الاعتزالي، الذي يجعل العقل قائده في بناء قواعده وقوانينه وتصوراته، ونرى من خلال ما سبق أن الجاحظ نجح في حد بعيد في تطبيق كلامه، حيث لم يعقه أي شيء يعترض طريقه ويقف أمام أحكامه الموضوعية البعيدة عن الذاتية، التي طبقها حتى على نفسه، وبهذا يكون قد فتح المجال ومهد الطريق أمام الدارسين بعده ،كي يعيدوا النظر في رؤاهم للشعر بصفة عامة وللمحدث بصفة خاصة، ولعلنا نذكر في هذا الصدد، الناقد الفقيه ابن قتيبة ونظرته إلى القديم والجديد، ومدى تأثره بمنهج الجاحظ حتى وإن لم نجد ما يبين ذلك صراحة في كتبه، حيث يقول في مقدمة كتابه الشعر والشعراء معلنا تمرده على أنصار القديم: " ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد أو استحسن باستحسان غيره، ولا نظرت إلى

[1] – مُحَمَّد بن عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان الجاحظ في النقد الأدبي،ص70.

المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه، ولا إلى المتأخر بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل إلى الفريقين، وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه ".[1]

هكذا نلاحظ أن ابن قتيبة يسخر من المتعصبين للقديم، وهو بتلك الموضوعية يهاجم بعض النقاد السابقين دون أن يذكر أسمائهم، أولئك المعجبين بالشعر القديم، والذين جعلوا العصر، أو الزمن أساسا لقبول الشعر أو رفضه، ويحل مكانه المقياس الفني المتمثل في الجودة أو الرداءة، يقول في ذلك:" فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه، كما أن الرديء إذا أورد علينا للمتقدم أو الشريف، لم يدفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه ".[2]وهي نظرة منصفة للشعر عامة، وللمحدث من الشعر خاصة، إذ نلاحظ فيها تحرر الحس النقدي من الأغلال التي تكبل سَيره وتطلق سراحه، فعبر بذلك بحرية عما يحسه من جودة ورداءة في الإنتاج الأدبي دون اعتبار لصاحبه ولا لزمن ولادته، ونجده يعتب على نقاد الشعر ودارسيه من أهل زمانه بقوله: "إني رأيت من علمائنا ما يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله، ويضعه في متخيره ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له إلا أنه قيل في زمانه، أو أنه رأي قائله ".[3] ولا يكتفي ابن قتيبة برأيه في هذه القضية فيقدمه جزافا بل يحتج لما يقول بحجج تقوم على الملاحظة والمنطق والعقل فيقول: "ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خصَّ به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية في أوله، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل، وأمثالهم يعدون محدثين وكان أبو عمرو بن العلاء يقول:(لقد كثر هذا المحدث حتى هممت بروايته)، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد

---

[1]–ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص62.

[2]– المصدر نفسه، ص63.

[3]–المصدر نفسه، ص62–63.

العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخزيمي والعتابي والحسن بن هانئ وأشباههم، فكل من أتى حسن من قول أو فعل ذكرناه وأثنينا به عليه ".[1]

إن ابن قتيبة من خلال هذه الفقرة قد وضع لنفسه أساسا موضوعيا يحكم به على الأدب بصفة عامة وعلى الشعر بصفة خاصة وحكمه هذا مستنبط من عمله الذي يقتضي التمحيص والتدقيق في القضايا للوصول إلى الحكم العادل (مهنة القضاء) وهذا الأساس الموضوعي الذي وضعه ابن قتيبة هو الجودة الفنية التي لا تتأثر بصاحب الأثر الفني أو الزمان الذي عاش فيه، وهذا كلام يستحق الإجلال والثناء عليه، فابن قتيبة يرغب في تحرير النقد من أساليب التقليد التي سيطرت عليه، ولعل هذا ما جعله يفند في كثير من الأحيان آراء النقاد والعلماء، فمثلا عندما عابوا قول امرئ القيس:

فمثلك حبلي قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

يدافع عن الشاعر قائلا: "وليس هذا عندي عيبا، لأن المرضع والحبلى لا تريدان الرجال، فإذا أصْباهما وألهاهما كان لغيرهما أشد إصباء والهاء.

وعابوه في قوله:

أغرك مني أن حبك قاتلي وأنك مهما تأمر القلب يفعل

وقالوا: إذا كان هذا لا يغير فما الذي يغر؟، إنما هذا كأسير قال لآسره: أغرك مني أني في يدك وفي أسارك، وأنك ملكت سفك دمي؟ ".[2]

---

[1]– **ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص63**

[2]– **المصدر نفسه، ص135**.

نجد ابن قتيبة لا يرى هذا عيبا، ولا المثل المضروب له شكلا، "لأنه لم يُرد بقوله: (حبك قاتلي) القتل بعينه، وإنما أراد به قد برح بي، فكأنه قد قتلني وهذا كمن يقول: قتلتني المرأة بدلها وبعينها وقتلني فلان بكلامه. فأراد أغرك مني أن حبك برح بي، وأنك مهما تأمري قلبك به من هجري والسلو عني يطعك، أي فلا تغتري بهذا، فإني أملك نفسي وأصبرها عنك، وأصرف هواي "[1].

وكان الناس يستجيدون للأعشى قوله:

وكأس شربت على لذة وأخري تداويت منها بها

حتى قال أبو النواس:

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

فسلخه وزاد فيه معنى آخر، اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه فللأعشى فضل السبق إليه، ولأبي النواس فضل الزيادة فيه ".[2]

وبهذا يحاول ابن قتيبة أن يؤكد ما دعا إليه وهو الاحتكام إلى المعيار الفني لا المعيار الزمني، وفيه يذكر ابن قتيبة نماذج تطبيقية ليبين للقارئ مدى انصافه للمحدثين من خلال ترجمته لعدد من الشعراء المحدثين كأبي النواس وبشار بن برد، وحاول ابن قتيبة أن يلتمس الإبداع الشعري دون أن يتقيد بزمن محدد وهذا ليبرهن على صحة نظريته، من خلال ايراده شاهدا على التماس الابداع عند شعر المتقدمين كثنائه على بيت أوس بن حجر:

---

[1] – **ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص135.**

[2] – **المصدر نفسه، ص73.**

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

بقوله " لم يبتدئ أحد مرثية بأحسن من هذا " [1]، اضف إلى ذلك أن ابن قتيبة جعل هذا البيت ممن حسن لفظه ومعناه.

ثم أورد شاهدا آخر على التماس الإبداع عند الشعراء المحدثين كإشادته ببيت الفرزدق:

يغضي حياء ويغضي من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم

بقوله:" لم يقل أحد في الهيبة شيء أحسن منه "[2]. أضف إلى ذلك أن ابن قتيبة جعل هذا البيت مما حسن لفظه ومعناه.

وإشادته بصريع الغواني في قصيدة مدح بها يزيد بن مَزْيَد، ومنها:

موف على مهج في يوم ذي رهج كأنه أجل يسعي إلى أمل

ينال بالرفق ما يعيا الرجال به كالموت مستعجلتا يأتي على مهل

يكسو السيوف رؤوس الناكثين به ويجعل الهام تيجان القنا ذبل

قد عود الطير عادات وثقن بها فهن يتبعنه في كل مرتحل" [3]

ثم يورد ابن قتيبة نماذج من سقطات الشعراء من القدماء والمحدثين حيث ينتقد الأعشى في قوله:

---

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص65.

[2] – المصدر نفسه، ص65.

[3] – المصدر نفسه، ص834–835.

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني شاو مشل شلول شلشل شول

بقوله: "وهذه الألفاظ كلها في معنى واحد "[1] ، وجعل هذا البيت مما تأخر لفظه ومعناه، ثم أورد أبياتا لأبي النواس في وصف الأسد ينتقده فيها بقوله:

كأنما عينيه إذا نظرت بارزة الجفن عين مخنوق

فأبو النواس وصف الأسد بجحوظ العين. وإنما يوصف الأسد بغؤورها ".[2]

وبهذا يريد ابن قتيبة أن يقف من القديم والحديث موقف المعتدل الذي يرى أن الجمال الفني في كل عصر، فليس للإبداع حدٌ زمني، لذا نجده من خلال هذه النماذج يتحسس عناصر الجمال الفني في شعر المتقدمين والمتأخرين في محاولة منه ان يوازن بينهما.

فهل استطاع ابن قتيبة أن يلتزم بهذا المنهج الذي ارتسمه؟

إن المتطلع لكتاب الشعر والشعراء يدرك حقيقة التناقض الذي وقع فيه ابن قتيبة، فهو عندما وضع هذا المنهاج الذي ألزم نفسه به في المفاضلة بين الشعر القديم والحديث والمتمثل في المقياس الفني – الجودة أو الرداءة – حيث يقول: "ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلدوا واستحسنوا بإحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل بين الفريقين، وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه".[3]يأتي بعد ذلك ليقول:" وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام، فيقف على منزل

---

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1،ص71.

[4] – ا لمصدر نفسه، ص71.

[3] – المصدر نفسه، ص62.

عامر، أو يبكي عن مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر، والرَّسم العافي. أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد المياه العذاب الجواري، لأن المتقدمين وردوا على الأواحن الطّوامي. أو يقطع إلى الممدوح منابت الشيح والحنوة والعرارة ."[1]

وهو بقوله هذا قد ناقض ما كان يريد أن يثبته في بداية كتابه، فأي ميزان هذا الذي يفرض على المحدث عدم الخروج على تقاليد القديم ثم يأتي بعد ذلك ليوضع في كفة التفضيل!.

فالمحدث الذي هو مقلد بطبيعة الحال عند ابن قتيبة هو مقصر لا محالة إذا قورن بنظيره القديم الذي يعتبر الأصل عنده، فالمعايير التي يحتكم إليها الطرفان هي معايير القديم وبالتالي فإننا عندما نزن بها الحديث فإن كفته بطبيعة الحال سوف تسقط في مقابل نظيرتها –القديم –التي سترجح وتربو، لأن خصائص شعره تتناسب والمعايير التي فرضها ابن قتيبة على المحدثين.

وبهذا يكون ابن قتيبة قد وقع في نفس الخطأ الذي حذر منه في بداية كتابه الشعر والشعراء، وأحدثت هذه النظرة منه مفارقة عجيبة تحتاج منا إلى الكثير من التمحيص والتدقيق لنستخرج كنهها وأن نقف عند أسباب حدوثها. وأن نعرف ما الذي جعل ابن قتيبة ينحو هذا النحو في دراسته للشعر .

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص77.

المبحث الثالث: الصراع بين القديم والمحدث بعد ابن قتيبة

تغيرت نظرة العصر بعد ابن قتيبة للشعر المحدث واصبح يزاحم في جودته وسبكه الشعر القديم، فأقبل الناس عليه إقبالا شديدا جعل معظم النقاد واللغويين يستسيغونه وينكبون عليه دراسة وتحليلا، في محاولة منهم تلبية ما يفرضه عليهم التغير الزماني والمكاني للعصر، ولعل الذي زاد من حدة التوتر بين القديم والحديث تلك المعارك الشعرية التي دارت رحها بين شاعريين شغلا تفكير الكثير من الناس حول أفضليتهما، أحدهما يمثل التيار القديم وما يحمله من حب للقديم جعل أشعاره تضاهي في جودتها وطريقة حبكها أشعار القدماء حمل لواءه "البحتري"، وآخر يمثل التيار الجديد الذي ثار على القديم فأغرق في المعاني وبالغ في الاستعارات لدرجة التعقيد وعدم الفهم وحمل مشعله "أبو تمام"، هذا التغير على الساحة الأدبية فرض على النقاد و اللغويين التأليف حول هذه الخصومة ومن بين هؤلاء نذكر :

1-**المبرِّد (210هـ-286هـ)**: كان أحد علماء اللغة في عصره، وهو تلميذ الجاحظ كان يهتم ويشتغل بالدراسات اللغوية التي تقوم على الشعر القديم لكن رغم هذا لم يطغى حبه للقديم على تعاطفه مع الشعر المحدث وانصافه له، ويتضح هذا الموقف المنصف من اعتقاده كأستاذه الجاحظ ومعاصره ابن قتيبة بزيف المقياس القديم الذي يعول في قبول الشعر أو رفضه، وقصوره على معيار الزمن وحده ويتلخص هذا الموقف في قوله: "وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطي كلٌّ ما يستحق".[1]

يظهر من خلال هذا القول أن المبرِّد يختلف عن بني عصره، فرغم اشتغاله على الدراسات اللغوية التي تقوم على الشعر القديم، واعتباره أرض خصبة له تقوم عليه أغلب الشواهد النحوية والبلاغية،

[1] – **ابو العباس مُحَمَّد ابن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والادب، تح: عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ص28.**

إلا أن هذا لم يمنعه من تعاطفه مع الشعر المحدث، فهو لا يقيس جودة الشعر بالقدم أو الحداثة، وإنما بالجودة وبالتالي فهو يهمل معيار الزمن والقدم، لذلك فهو يسعي إلى إعطاء كل ذي حق حقه وكلٌّ يعطى ما يستحق. وتماشيا مع هذا الموقف تجده يستشهد بشعر كثير من المحدثين في كتابه –الكامل– وقد كان المبرد في اختياره لأشعار المحدثين يلبي حاجة العصر ويتمشى معه لذلك يقول في الكامل: "هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين حكيمة مستحسنة يحتاج إليها للتمثل لأنها أشكل بالدهر، ويستعار من ألفاظها في المخاطبات والخطب والكتب "[1]، من خلال هذا القول نرى بأن المبرد كان يولي اهتماما كبيرا للشعر المحدث وللشعراء المولدين، لذلك كان يستشهد بأشعارهم ويتبناها، فلقد كان أسرع من اللغويين الذين عاصروه في التنبه للشعر المحدث ومنحه شيئا كثيرا من عطفه، واعتمده أصلا من أصوله في تدريسه لطلابه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخري، أن المبرد كان أستاذا لكثير من الأجيال في القرن الثالث، ولذا أصبح رأيه فيما يقبله وما يدفعه عمدة لدى النقاد في أواخر هذا القرن، أو في مطلع القرن الذي يليه فالذين كانوا ينكرون طريقة أبي تمام لجأوا إلى الاستشهاد بموقفه فقالوا :"وهذا أبو العباس مُحَمَّد بن يزيد بن المبرد كان معارضا عنه، ما علمناه دونه له كبير شيء، فهذه كتبه وأماليه وإشادته تدل على ذلك " [2] وهؤلاء أيضا يستأنسون بقوله في البحتري الذي قال فيه: "ما رأيت أشعر من هذا الرجل...لولا أنه ينشدكم كما ينشدني لملأت كتبي من آمالي شعره ".[3]

ويبدوا أن صلة أبو العباس المبرد بالشعر المحدث هي صلة قوية ويتبين ذلك من خلال إنشاده لشعر المحدثين خاصة البحتري الذي قال عنه:« ما رأيت أشعر من هذا الرجل » وهذه شهادة قالها عن عظمة شعره وجودته، كما قال عنه لو أنشده لملأ كتبه من أمالي شعره، وهذا بدوره يوضح لنا مدى تعلق أبو العباس المبرد بالشعر المحدث، رغم كونه من علماء اللغة في عصره، وإن موقفه هذا يبرر

---

[1] – المبرد، الكامل في اللغة والادب، ص01.

[2] – الموازنة بين أبي تمام و البحتري، أبو القاسم الآمدي، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، د.ط،1988،ص60.

[3] – المصدر نفسه، ص71.

مسعاه الحقيقي اتجاه الشعر المحدث الذي هو في حقيقة الأمر تلبية حاجة العصر، وتأليفه لكتاب الروضة خير شاهد على ذلك.

لقد رأى المبرد في أشعار المحدثين إسراف وغلو وخروج عن المقدار فتراه يستشهد بأشعار المحدثين في سمة فنية تعد جوهرا من جواهر الشعر ففي باب التشبيه قال:" ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار:

كان فؤاده كرة تتري حذار البين إن نفع الحذارُ

يروعهُ السرار لكل أمر مخافة أن يكون به السرارُ "[1]

وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن المبرد كان يستحسن التشبيه عند الشعراء المحدثين وخاصة المستطرف عند بشار بن برد الذي يعده سيد المحدثين ورائدهم، حيث قال: "ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار:

وكأن تحت لسانها هاروت ينفث فيه سحرا

ونخال ما جمعت عليه بنانها ذهبا وعطرا "[2]

ويتابع كذلك استشهاده بحسن التشبيه عند المحدثين فيقول: "ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول عباس ابن الأحنف:

أحْرمُ منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا

---

[1] – **المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص50.**

[2] – **المصدر نفسه، ص112.**

صرت كأني ذبالة نصبت تضئ للناس وهي تحترق "[1]

يرى المبرد أن هذا حسن وأن هذا جميل في تشبيه ابن الاحنف لذلك تجده يستشهد بتشبيه ابن الأحنف في كثير من كتبه وليس هذا فقط بل كذلك لم تكن جودة التشبيه في شعر ابي النواس غائبة عن خياله فيقول عنه:"

فكأني بما أزين منها فعديّ يزين التحكيما "[2]

رغم أن المبرد كان يعطي أهمية للحن في شعر المحدثين إلاّ أن هذا لم يقلل من قيمة التشبيه عنده.

ويقدم المبرد أبو نواس على كل الشعراء في معنى من المعاني حيث إن الخليفة تشدد عليه في شرب الخمر وحبسه من أجل ذلك حبسا طويلا فقال:

أيها الرائحان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميما

نالني لا ملام فيها إمام لا أرى لي خلافه مستقيما

فاصرفاها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديما

كَبُرَ حظي منها إذ هي دارت أن أراها وأن أشم النسيما

[1] –المبرد، الكامل في اللغة والادب، ص113.

[2] – المصدر نفسه، ص108.

فكـأني بمـا أزين منهـــــــا فعديّ يُزيّن التحكيمـا

لم يظن حمله السلاح إلى الحرب فأوصي المطيّق ألا يقيما [1]

هذه نماذج نقدية تؤكد حرص المبرد على الاستشهاد بشعر المحدثين في مجال التشبيه، وهي في الوقت نفسه تؤكد الأهمية المعيارية للصورة الشعرية في مخيلته لأنها تشكل مقوما أساسيا من مقومات الإبداع الشعري.

2-ابـن المعتز (247هـ- 296هـ):كان من بين تلامذة عالم اللغة أبو العباس المبرد، الذين تأثروا به في موقفه من الشعر المحدث، ويبدو أنه لم يكن في بداية حياته متحمسا للشعر المحدث كتحمسه للشعر القديم، هذا بالرغم من كونه كان من الشعراء والنقاد المحدثين، ومما يدل على صحة هذا القول تأليفه لكتاب البديع، الذي يعد في الحقيقة انصافا للشعر القديم، وكذلك كرد على بعض ادعاءات الشعراء والنقاد المحدثين فيقول: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرءان واللغويين وأحاديث رسول الله صلي الله عليه وسلم، وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم. وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون-البديع- ليعلم أن بشار ومسلما وأبا نواس ومن تقبلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثير في أشعارهم فعرف في زمانه حتى سُمي بهذا الاسم، فأعرب عنه ودل عليه، ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شغف به حتى غلب عليه وتفرع فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقب الإفراط وثمرة و إنما كان يقول الشاعر في هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرأت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها-بديع- وكان يستحسن ذلك منه إذا أتي نادرا ويزداد خطورة بين الكلام المرسل، وقد كان بعض العلماء يشبه

[1]-المبرد، الكامل في اللغة والادب،ص108.

الطائي في البديع بعدد القدوس في الأمثال، ويقول: "لو أن صالحا نثر أمثاله في شعره وجعل بينها فصولا من كلامه لسبق أهل زمانه وغلب على ميدانه، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعني ".[1]

ويفهم من هذا القول أن ابن المعتز يعتز بنفسه لكونه يرى أنه البادئ في هذا الأمر، لذلك يشير بهذا ويخبر في مقدمته بهذه الحقيقة الواضحة التي تعد ظاهرة بارزة وخطيرة في تاريخ الشعر العربي بصفة عامة، وإن المتطلع لهذا القول يرى أن ابن المعتز من أنصار القديم والبديع وحبه لهذا دفعه إلى تأليف هذا الكتاب، الذي يعد من أشهر الكتب في النقد العربي القديم، كما هو يبدو من خلال مقدمته هذه التي يعالج فيها قضية البديع وينسبها للقدماء، حيث أنها كانت موجودة في أشعارهم، وهو بهذا يوضح حقيقة بارزة وهي أن أبا نواس ومسلم بن الوليد وبشار بن برد ومن سلك سبيلهم لم يكن هم السابقون لهذا الفن، وإنما يعود أصله إلى شعراء الزمن القديم، كما يشير إلى أن هذا المصطلح لم يتحدد في عهده، ولم يثقف النقاد على مدلوله ولهذا نصب نفسه لتثبيته لهذا المدلول، وحصره في تلك الأبواب الخمسة وما أضافه إليها بعد ذلك، وتمشيا مع هذه الغاية التي كان يهدف إليها من وراء تأليفه لهذا الكتاب، فقد أخذ يستشهد بنصوص كثيرة من الأدب القديم شعره ونثره موضحا ما تضمنه من ألوان البديع ومؤكدا على أن هذه الظاهرة الفنية ليست وليدة الشعر المحدث، وذلك بدليل توفرها في الأدب القديم، وهو بهذا المسلك يحاول أن يسلب الشعر المحدث أخص ما يتميَّز به من إبداع فني.

وقد تعرض في هذه الفترة من حياته لنقد بعض الشعراء المحدثين الذين اشتهروا بالبديع، وأغرقوا شعرهم به كأبي تمام فألف رسالة في مساوئه ومحاسنه صب فيها غضبه على فن هذا الشاعر[2]،

---

[1] – **ابو العباس عبد الله ابن المعتز، كتاب البديع، تح: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط1، 2012، ص10.**

[2] – **ينظر ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، ص13– 14.**

وهذا ما دفع بابن المعتز إلى تعديل موقفه بعد ذلك تعاطفاً مع الشعر المحدث وأنصافا له ويتضح هذا من خلال تأليفه لكتاب « طبقات الشعراء المحدثين »، الذي ألفه بعد كتاب « البديع »، وقد ترجم فيه لمعظم الشعراء المحدثين وذكر نماذج من أشعارهم، وإن المتصفح لكتاب « طبقات الشعراء المحدثين» يدرك بحق حقيقة هذا التعاطف الذي بدا منه اتجاه الشعراء المحدثين، وخاصة اتجاه أولئك الذين هاجمهم في كتابه « البديع »، كأبي تمام وما يوضح هذه الحقيقة قوله عن هذا الشاعر وشعره: "وأكثر ما له جيد، والرديء الذي له إنما هو شيء يستغلق لفظه فقط، فأما أن يكون في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة والمحاسن والبدع الكثيرة فلا ".[1]

يبدوا لنا من هذا القول أن ابن المعتز تراجع عن موقفه اتجاه أبي تمام، وغير قوله تماما حين قال عنه أن معظم شعره جيد والرديء فيه مجرد كلام يستغلق لفظه لا ينقص من قيمة شعره في شيء، كما يؤكد في آخر قوله أن شعر ابي تمام لم يخلو من البديع والمحاسن، وهو شعر جيد ونقي، وشبيه بهذا التعاطف إلى حد الإنصاف قوله عن بشار بن برد الذي يعد أستاذ المحدثين وسيدهم" وكان شعره أنقى من الراحة، وأصفى من الزجاجة وأملس على اللسان من الماء العذب ."[2] ولعل ابن المعتز لم يغير موقفه من الشعر المحدث لحاجة في نفسه أو لحبه للشعر المحدث، وإنما استجابة لرغبة أهل عصره الذين كانوا شديدي الإعجاب بالشعر المحدث، وهذا لما فيه من جودة وطرفة وإبداع فني، فكان يُلذ اسماعهم ويشغف قلوبهم كل جديد وطريف، لذلك كانوا يندفعون إلى روايته وحفظه فهم قد ملوا النمط القديم للشعر الذي اصبحت مادته مستهلكة وألفاظه مألوفة وبنيته التي لا تتناسب ومتطلبات العصر.

[1] – ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، ص285– 286.

[2] – المصدر نفسه، ص 28.

إن تعاطف ابن المعتز مع الشعر المحدث بصفة عامة ومع هؤلاء الشعراء بصفة خاصة، جاء نتيجة سيطرة الشعر المحدث على الساحة الشعرية والأدبية بصفة عامة، وقد صرح بذلك في كتابه طبقات فحول الشعراء المحدثين قائلا: "وليستريح من أخبار المتقدمين وأشعارهم، فإن هذا الشيء كثرت رواية الناس له فملوه، وقد قيل لكل جديد لذة، والذي يستعمل في زماننا إنما هو أشعار المحدثين وأخبارهم ".[1]

إن الحقيقة التي يريد ابن المعتز أن يصل إليها هي أن زمن الشعر القديم قد انقضى عهده، وجاء عهدٌ جديد قد يمثله الشعراء المحدثون أنصار التجديد.

3-القاضي الجرجاني (322هـ-392هـ): يبدأ القاضي الجرجاني في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه دفاعه عن المتنبي بتحديد خصومه ويقسمهم إلى قسمين فيقول: "أولئك الذين لا يرون فضلا إلاّ للمتقدمين جاهلين وأمويين، وهؤلاء إذ يرفضون الشعر الحديث وبذلك فإنهم يجرحون المتنبي ويهجنون شعره لأنه لاحق المحدثين، ثم إن أولئك الذين يسلمون بفضل أبي تمام وحزبه ومع ذلك يهاجمون المتنبي وهؤلاء قوم أفسد الهوي أحكامهم وأتلف الحسد نظراتهم".[2] يدافع الجرجاني في هذا القول عن المتنبي بصفة خاصة وعن الشعر المحدث بصفة عامة، فهو يذم الذين يهملون الشعر المحدث ويرجعون الفضل إلى الشعر القديم والشعراء الجاهليين، فهو يري المتعصبين للقديم يسرفون في ذم المحدثين ويظلمونهم عندما يرفضون شعرهم جملة وتفصيلا مع أن هؤلاء المحدثين أجدر من أن يترفق بهم أنصار التيار القديم.

---

[1]- ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، ص86 .

[2]- الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص03.

إن المتطلع لكتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، يلاحظ أن القاضي الجرجاني يذكر ما عيب من شعر المتنبي ويأتي بأمثلة من شعره ويُعْقِب عليها بإيراد أمثلة من شعره الجيد، ويورد من ذلك قدرا كبيرا، ثم يتطرق إلى قضية السرقات في الشعر ويذكر رأيه فيها، تمهيدا لمعالجة ما نسب إلى المتنبي من السرقات. وفي قسم كبير من كتابه يقوم بقياس المتنبي بالمحدثين من الشعراء، وبعد ذلك يعود إلى التماس الأعذار محاولا تبرير سرقة المتنبي في الشعر، كما يقوم بعرض مجموعة من الأبيات الشعرية التي عيب فيها على المتنبي ملتمسا العذر له في كثير مما وقع فيه.

إن دفاع الجرجاني عن المتنبي أشبه ما يكون بالدفاع القضائي، حيث نجد الجرجاني يدافع عن المتنبي بذكر عيوب الشعراء المحدثين، وذلك بعرض الأبيات بلا تحليل ولا مناقشة ثم بعدها بذكر الكثير من الأشعار الرديئة لأبي تمام وأبو نواس وابن الرومي، كأنما يعني بذلك أنه إذا كان شعر رديء للمتنبي فإن له أشباه أشد منه رداءة عند إمام المطبوعين وسيد الصنعة، وبالأحرى إذا كان شعره يتردد بين الحسن والقبح فإن له نظائر عند الآخرين وعلى سبيل المثال يقيس الجرجاني المتنبي بابن الرومي بقوله: "وقد نجد كثيرا من أصحابه ينتحل تفضيل ابن الرومي ويغلو في تقدمه، ونحن نستقرئ القصيدة من شعره وهي تناهز المائة أو تربى أو تضعف فلا نعثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين، ثم قد تنسلخ قصائد منه وهي واقفة تحت ظلها جارية على رسلها. لا يحصل منها السامع إلا عدد القوافي وانتظار الفراغ وأنك لا تجد لأبي الطيب قصيدة تخلو من أبيات تختار ومعان تستفاد وألفاظ تروق وتعذب، وإبداع يدل على الفطنة والذكاء وتصرف لا يصدر إلا عن غزارة واقتدار " .[1]

والذي يبدو أن الجرجاني يدافع عن المتنبي بمنهج واضح وجلي ينم عن فطنة وذكاء، بالإضافة إلى علم ودراية ودربة بالقديم والمحدث، مكنه من إجراء مقارنة بين المتنبي وخصومه لينتصر لصاحبه ويثبت أن الذي جاء به المتنبي لم يكن جديدا على الساحة الأدبية فهذه أشعار القدماء والمحدثين

[1] –الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص52 .

مليئة بها وهو في هذا القول يذم الذين يفضلون ابن الرومي ويغالون في تقدمه بانتقاد شعره الذي يرى أنه مليء بالقوافي فقط، كما يشيد في المقابل بشعر المتنبي بصفة خاصة والمحدث بصفة عامة وهذا بطريقة غير مباشرة تتضح فقط من خلال منهجه وطريقته في المقارنة.

كما سبق الذكر أن أشرنا في بداية هذه الدراسة أن القاضي الجرجاني جعل دفاعه عن المتنبي بشكل غير مباشر أي دون تصريح، كذلك فعل مع الشعر المحدث حيث يرى أنه الأقرب إلى طباع أهل العصر فيقول: "والنفس تألف ما جانسها وتقبل الأقرب فالأقرب إليها"[1]، وهذا يعني أن الجرجاني يدعوا الشعراء إلى مواكبة العصر والحداثة، بحيث أن الشاعر ملزم بتنظيم أشعاره تماشيا مع روح العصر وهو بهذا يدافع عن الشعر المحدث ويؤيده، وليس هذا فقط بل بالقول أيضا: "إن الشاعر المحدث يتهم بالسرقة ولكن الإنصاف يقتضي أن نعذره في ذلك لأن المعاني قد استغرقها المتقدمون"[2]، فالجرجاني هنا لا يناقض الموضوع لإثبات شاعرية المتنبي وحده ولا ليقرر شيئا يتعلق به خاصة وإنما يدعم كيان شعر المحدثين بصفة عامة.

4- أبو بكر مُحَمَّد بن يحي الصولي (ت 335هـ): لقد وازن بين القدماء والمحدثين من خلال بعض السمات الفنية التي يتميَّز فيها شعر كل من الفريقين، قال: "اعلم- أعزَّك الله- أن ألفاظ المحدثين من عهد بشار بن برد إلى وقتنا هذا كالمنتقلة إلى معان أبدع، وألفاظ أقرب، وكلام أرق، وإن كان السبق للأوائل بحق الاختراع والإبداع، والطبع والاكتفاء، وأنه لم تر أعينهم ما رآه المحدثين فشبهوه عيانا، كما لم ير المحدثون ما وصفوه مشاهدة وعانوه مدة دهر من ذكر الصحاري والبر والوحش والإبل والأخبية، فهم في هذه أبدا دون القدماء، كما أن فيها لم يروه أبدا دونهم".[3]

---

[1] **- الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص29 .**

[2] **- المصدر نفسه، ص417.**

[3] **- مُحَمَّد بن يحي الصولي، أخبار أبي تمام، تح: محمود عساكر، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ص 16-17.**

إن المتفحص لهذا القول يظهر له أن الصولي كان يحاول الموازنة بين تيار القدماء والمحدثين فهو يرى أنه لكل زمن جيل يتميَّز به ويتماشى مع مقتضياته لذلك فهو يرى أن الإبداع في الكلام والاختراع والابتداء حقيقة كان للأوائل، ولكن هذا لا يقلل من قيمة شعر المحدثين ومن جودته ويزيد الصولي في تبرير موقفه هذا بما يقوم على الموافقة بين الطرفين ويستشهد بقول أبو نواس:

صفة الطلول بلاغة القدم فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ثم يقول فيها:

تصف الطلول على السماع بها أخذو العيان كانت في الفهم

وإذا وصفت الشيء متبـــــعا لم تخـل من زلل ومن وهـــــم

ولأن المتأخرين إنما يجرون بريح المتقدمين، وينسجون على قولهم، ويستمدون بلعابهم، وينتجعون كلامهم، وقلما أخذ أحد منهم معنى من متقدم إلا أجاده، وقد وجدنا في شعر هؤلاء معاني لم يتكلم القدماء بها ومعاني أهملوها ، فأتى بها هؤلاء وأحسنوا فيها، وشعرهم مع ذلك أشبه بالزمان، والناس له أكثر استعمالا في مجالسهم وكتبهم وتمثلهم ومطالبهم".[1]

يبدو لنا مما سبق ذكره أن الصولي كان معجبا بشعر القدماء لاختراعهم للمعاني ولسجيَّتهم في الإبداع الشعري، وهو في الوقت نفسه يفضل التجديد في الشعر المحدث سواء أكان ذلك في الأساليب أم الموضوعات، منطلقا من فكرة تمثيل الشعر للزمن الذي قيل فيه وبسبب ذلك استحسن

[1] – مُحَمَّد بن يحي الصولي، أخبار أبي تمام، ص18.

ثورة أبو نواس على المقدمة الطللية في القصيدة القديمة، وكذلك فهو يميل إلى نقل ذوق المتلقين للشعر المحدث وهذا ما كان ابن المعتز قد استند إليه في موقفه النقدي حول هذه القضية.[1]

ابن طباطبا (ت 322هـ)*:

يهتم ابن طباطبا بشعر المولدين فيشير إلى استفادة الشعراء المولدين ممن تقدمهم من الشعراء كما يثني على حسن نظمهم فيقول: "وسنعثر في أشعار المولدين بعجائب استفادوها ممن تقدمهم ولطفوا في تناول أصولها منهم ولبسوها على من بعدهم وتكثروا بإبداعها فسلمت لهم عند ادعائها للطيف سحرهم فيها وزخرفتهم في معانيها"[2]، ثم يؤكد شرطا من شروط التناص مع النصوص القديمة فيجب على الشاعر أن يزيد في إضاءة النص حيث يقول:" والمحنة على شعراء زماننا في اشعارهم أشد منها على من كان قبلهم لأنهم قد سبقوا إلى كل معنى بديع، ولفظ فصيح، وحيلة لطيفة، فإن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك ولا يربى عليها لم يتألق بالقبول، وكان كالمطروح المملول".[3]

يظهر لنا من خلال هذا القول أن الشاعر المحدث يعيش في محنة سببها عدم القدرة على الإبداع والاختراع في المعاني، وذلك لكون الأوَّلين قد سبقوا إلى ذلك، فالقدماء تناولوا كل شيء في شعرهم ولم يتركوا للمحدثين إلا القليل، وهذا ضيَّق لهم حيِّز الإبداع في الشعر بصفة خاصة والأدب بصفة عامة. ولهذا عمد الشعراء المحدثين إلى السرقات الشعرية أو وقوع فيما يسمى بالتناص عند المعاصرين. والمتطلع في كتاب عيار الشعر يرى أن ابن طباطبا وضع شروط للتناص.

---

[1] –حسين علي الزعبي، النقد والتجديد في الشعر العباسي بين التقصي والواقع، مجلة جامعة دمشق–المجلد 27، العدد الثالث، ص206.

*–ابن طباطبا (322هـ)، هو ابن الحسن محمَّد بن أحمد طباطبا عاش بأصبهان وتوفي فيها.

[2] – ابن طباطبا، عيار الشعر، تح: عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، 1405هـ–1985م، ص14.

[3] – المصدر نفسه، ص12.

يشيد ابن طباطبا بالشعراء المولدين فيقول: "والشعراء في عصرنا إنما يثابون على ما يستحسن من لطيف ما يوردونه من أشعارهم، وبديع ما يخرجونه من معانيهم، وبديع ما ينظمونه من ألفاظهم، وحسن ما يوردونه من نوادرهم وأنيق ما ينسبونه من وشيء من قولهم".[1]

وهذا القول يدل على أن ابن طباطبا كان يشيد بالشعراء المولدين، وهذا لما يصدر عن شعرهم من حسن وكلام لطيف وهذا يعتبره مقياسا يثابون عليه، فهم يضفون الابداع في ألفاظهم وفي معانيهم رغم أسبقية الأوائل في هذا المجال وسيطرتهم عليه، كما يؤكد مبدأ جودة الشعر والإفادة من معاني السابقين فيقول: "فينبغي للشاعر في عصرنا أن لا يظهر شعره غلا بعد ثقته بجودته وحسنه وسلامته من العيوب التي نبه عليها وأمر بالتحرز منها، ونهي عن استعمال نظائرها، ولا يضع في نفسه في أن الشعر موضع اضطرار وأنه يسلك سبيل من كان قبله، ويحتج بالأبيات التي عيبت على قائلها، فليس يقتدى بالمسيء، وإنما الاقتداء بالمحسن وكل واثق فيه حجل إلا القليل".[2]

يؤكد ابن طباطبا من خلال هذا القول على مبدأ جودة الشعر وعلى الإفادة من معاني الشعراء السابقين والأخذ من أشعارهم، كما كان يدعو الشعراء المحدثين إلى التأكد من جودة وسلامة شعرهم قبل إظهارهم له، فهو يعتبر سلامة الشعر من العيوب معيار يجب أن يتمسك به هؤلاء الشعراء، كما أمرهم بأن يسلكوا سبيل كل من كان قبلهم بشرط أن يستشهدوا بشعر المحسنين والمجيدين لهذا الفن، وأن يبتعدوا عن المسيئين له، فهو لا ينهى عن التناص وإنما يضع مبدأ الحسن والجودة شرط ضروري يعتمد عليه الشاعر المحدث في تناوله لشعر الأوائل. لقد قدم ابن طباطبا الشعراء المحدثين على القدماء في حسن التخلص من معنى إلى معنى آخر فقال: "ومن الأبيات التي تخلص بها قائلوها إلى المعاني التي أرادوها من مديح، أو هجاء، أو افتخار، أو غير ذلك ولطفوا في صلة ما بعدها بها، فصارت غير

---

[1] – **ابن طباطبا، عيار الشعر،ص13.**

[2] – **المصدر نفسه، ص14.**

منقطعة عنها، ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون تقدمهم، لأن مذهب الأوائل في ذلك مذهب واحد".[1]

يبدوا لنا من خلال هذا القول أن ابن طباطبا كان ينحاز إلى شعر المحدثين أكثر من القدماء، لذلك كان يرى أن شعر المحدث أحسن من الشعر القديم، لكونه يقدمه عليه فهو يرى أن الشعراء الجاهليون قد برعوا فقط في وصف الفيافي والصحاري ووصف حياتهم القاسية، كما برعوا كذلك في الفخر والهجاء والمدح وغيره من الأغراض الشعرية الأخرى، لكن المحدثين كان لهم حس تجديدي يغلب عليه حسن الاختيار في المعاني والبديع، هذا بالإضافة لما سبق ذكره فإن ابن طباطبا قد دعا الشعراء المحدثين للاستفادة من معاني القدماء، واشترط في ذلك الاعتماد على الجودة وأن يكسوا الشعر المحدث أحسن كسوة من الكسوة السابقة، كما رأى في شعر المحدثين لطفٌ في المعنى وبلاغة في النظم والنسج الرائق.

سيف الدين الآمدي (551هـ-631هـ):أحد علماء النحو واللغة في البصرة أخذ هذا العلم عن علي بن سليمان الأخفش الأصغر، وأبي إسحاق الزجاج وأبي بكر بن دريد وكان يدلي الكثير من الاهتمام والعناية بالشعر ونقده، ألَّف في ذلك الكثير من الكتب أهما (الموازنة بين أبي تمام والبحتري).

إن المتطلع لأصحاب مذهب ظاهرة – البديع- يكتشف أن أصحاب هذا المذهب لم يقولوا أفكارا جديدة في صياغة قديمة بل حاولوا بوجه عام أن يقولوا أفكارا قديمة بصياغة جديدة، وخاصة عند أبي تمام الذي لم يُجدد شيئا في موضوعات شعره وإنما تجددت المعاني في القرن الرابع والخامس الهجري عند المتنبي وأبي العلاء حيث يقول الآمدي:" كان أبي تمام مشتهرا بالاختيار مسعوفا به مشغولا مدة عمره بتخمره وبدراسته، وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة، فمنها الاختيار –

[1] – ابن طباطبا، عيار الشعر، ص184.

القبائلي الأكبر- اختار فيه من كل قصيدة، وقد مر على يد هذا الاختيار، ومنها اختيار آخر ترجمة اختار فيها قطعا من محاسن أشعار القبائل، ولم يورد فيه كبير شيء للمشهورين، ومنها الاختيار الذي تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام، أخذ من كل قصيدة شيء حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعراء الفحول، ومنها اختيار تلقط فيه أشياء من الشعراء المقلين والشعراء المغمورين غير المشهورين، وبوبه أبوابا، وصدره بما قيل في الشجاعة، وهو أشهر اختياراته وأكثرها في أيدي الناس ويلقب- بالحماسة- إلا أنه يذكر فيه أشعار المشهورين وغيرهم من القدماء والمتأخرين، وصدّره بذكر الغزل "وقد قرأت هذا الاختيار وتلقطت منه نتفا وأبيات كثيرة، وليس بمشهور شهرة غيره، ومنها اختيار مجرد في أشعار المحدثين وهو موجود في أيدي الناس وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر، فإنه اشتغل فيه وأكده واقتصر في كل الآداب والعلوم عليه، وأنه ما من شيء كبير من شعر جاهلي ولا اسلامي ولا محدث إلا قرأه واطَّلع عليه".[1]

يتبين من هذا القول طبيعة الطريقة التي اعتمدها ابو تمام في التجديد، فقد توفرت لدى هذا الشاعر فرصة النظر في شعر الأولين وطريقة نسجهم، وأراد أن يجدد في شعره بأن يخرج على هذا النهج، لكنه لم يستطع أن يفلت من أفكاره التي كانت تشده دوما إلى اتباع القديم، ورغم حبه للتجديد وطريقته الجديدة المغرقة في المعاني والبديع لتصل إلى حد التعقيد الا أنه كان دائما مرتبط بحافظة الشعر الجاهلي القديم.

ويظهر لنا ميل الآمدي إلى الشعر المحدث من خلال قوله: "وأقول الان في الموازنة بينهما إن أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله ابو تمام على اكثر ما قاله البحتري في هذا الباب ويقولون ان ابا تمام استقصى الوصف في نعوت الوصف، وأحسن وأجاد وقد لعمري كان ذلك مع ما فيه من الإنشادات والالفاظ الرديئة التي ذكرتها، والمطبوعون وأهل البلاغة لا يكون الفحل عندهم من جهة استقصاء

[1] – **الآمدي، الموازنة بين البحتري وأبي تمام، ص23.**

المعاني والإغراق في الوصف وإنما يكون الفحل عندهم بالإلمام بالمعاني وأخذ ....منها كما كانت الاوائل مع جودة السبك وقرب المأتى والقول، هذا قولهم وإليه أذهب إلا أني أجعلهما في هذا الباب متكافئين لكثرة إحسان ابي تمام".[1]

[1]– الآمدي، الموازنة بين البحتري وأبي تمام ،ص53.

الفصل الثاني:

ابن قتيبة بين إنصاف المحدث وتمجيد القديم

- المبحث الأول: التكوين المعرفي لابن قتيبة.
- المبحث الثاني: آراؤه النقدية في كتابه الشعر والشعراء.
- المبحث الثالث: آراؤه النقدية في كتبه الأخرى.
- المبحث الرابع: دراسة وتحليل لموقف ابن قتيبة.

المبحث الأول: التكوين المعرفي لابن قتيبة

أ- الزمن الذي نشأ فيه ابن قتيبة:

1- الحياة السياسية:

عاش أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم بن قتيبة في عصر بني العباس، في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، ولد على عهد المأمون ابن الرشيد، أيام كانت الدولة العباسية في أوج مجدها وازدهارها[1]، ظهرت في هذا العصر كثير من الفتن نتيجة ذلك الصراع الذي استفحل بعد موت الرشيد بين العرب والفرس على السلطان كفتنة الأمين والمأمون وسلسلة من الاضطرابات والحروب الأهلية.

ومن أشهر الفتن فتنة نصر بن شيث الذي كانت دعوته الانتصار للعروبة من غلبة الفرس وكان يقول: "إنما حاربتم أي بني العباس محاماةً عن العرب، لأنهم يقدمون عليهم العجم".[2]

واجه المأمون كل تلك الأحداث مجتمعة أو متتابعة فما لان لها وتخاذل فعالجها بالقوة حينا حتى يبسط هيبة الدولة، وبالحكمة والسياسة حينا آخر حتى يكون بينه وبينهم شعرة معاوية، "وكان من حسن سياسته أن اختار لولاية عهده علي الرضي بن موسى بن جعفر الصادق ثامن أئمة الشيعة الاثني عشرية، أمر جنده بطرح السواد شعار العباسيين ولبس الثياب الخضر شعار العلويين وذلك ليهدئ ثورتهم المندلعة وليكسبهم إلى جانبه، فأغضب هذا جماعة من أهل السنة واعتبر المسعودي المؤرخ ذلك من زلات المأمون".[3]

---

[1]- مُحَمَّد زغلول سلام، نوابغ الفكر العربي، ابن قتيبة، دار المعارف، مصر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص5.

[2]- المرجع السابق، ص6.

[3] - المرجع السابق، ص6.

ويمكن القول إن المأمون كان "مشجعا للعلماء والأدباء مما سبب تلك النهضة الكبرى في ضروب المعرفة وفي علو شأن الفكر وقيام كثير من الحركات الفكرية، مثل حركة المعتزلة التي آمن بها وشجعها وقرب علماءها، كذلك قويت حركة الترجمة من اللغات المختلفة إلى العربية فأكسبتها ثروة كبيرة وسعت آفاق الفكر الإسلامي فكان لها آثارها البعيدة المدى في التراث الفكري العربي)[1]. توفي المأمون وخلفه المعتصم وكان قائدا شجاعا له كثير من الانتصارات كفتح عمورية، الذي خلده الشاعر أبو تمام لما استصرخت امرأة المعتصم أن (وامعتصماه) وخلَّد ذلك أبو تمام في قصيدته المشهورة فتح عمورية والتي مطلعها:

السيف أصدقُ إنباء من الكتب في حدِّه الحد بين الجد واللعب[2]

كما ساعد المعتصم المعتزلة وتذمر كثير من أهل السنة. وفي عهده حدثت محنة خلق القرءان المشهورة التي راح ضحيتها كثيرون وتعرَّض للاضطهاد والتعذيب علماء أهل السنة وكان بينهم الإمام أحمد بن حنبل صاحب المذهب المعروف[3]. وخلف المعتصم الواثق(227هـ-232هـ) وجاء بعده المتوكل (232هـ-247هـ) في هذه الفترة تعاقب على الخلافة ستة خلفاء في خمسة عشر عاما وهم المنتصر والمستعين والمعتز والمهتدي وابن المعتز والمعتمد وهكذا عاش ابن قتيبة في زخم هذا الصراع السياسي في العصر العباسي الثاني.

---

[1] **–مُحَمَّد زغلول سلام ، نوابغ الفكر العربي، ابن قتيبة، ص7 .**

[2] **– ديوان أبي تمام بشرح خطيب التبريزي، ج1، تحقيق مُحَمَّد عبده عزَّام، دار المعارف، ط5، ص30 .**

[3] **– مُحَمَّد زغلول سلام ، نوابغ الفكر العربي، ابن قتيبة، ص7.**

2- الحيـاة الاجتماعية:

كان المجتمع البغدادي في العصر الأموي خليط عناصر وأجناس متباينة، فيه العرب والفرس والسريان والترك والروم ولم يكن العنصر العربي سائدا ولكنه كان محتفظا بمراكز القيادة والتوجيه. وكان المجتمع مقسم إلى ثلاث طبقات الطبقة العليا والطبقة الوسطي والطبقة الدنيا، ويكاد يكون نصفهم من الفرس أو الترك أو اليونان. واشتهرت بغداد بالترف و تغلغل هذا في حياة الناس، ومن مظاهره الجواري والغلمان وهم من لوازم القصور ومجالس اللهو والسمر.[1]

ب- مذهبه:

قد عاصر ابن قتيبة من الأئمة الأربعة أحمد بن حنبل (ت-241هـ) وكان مذهبه رد فعل لحركة المعتزلة، ونتيجة لشيوع كثير من العقائد المختلطة، الوافدة من الشرق والغرب، فكانت دعوته إلى التمسك بالكتاب والسنة والتشدد في ذلك حتى ضرب بها المثل في المحافظة على قدسية العقيدة أمام التيارات الغربية.[2]

ت- نشأتــه:

هو الإمام البارع المفسر المحدث الفقيه القاضي اللغوي النحوي الأديب الكاتب أبو مُحَمَّد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، من أب فارسي من مرو الروز وتختلف المصادر في البلد الذي ولد فيه ابن قتيبة، فذكر ابن النديم أنه بالكوفة ولد[3].وذكر الخطيب البغدادي أنه ببغداد ولد سنة (213هـ)،

---

[1] -.مُحَمَّد زغلول سلام ، نوابغ الفكر العربي، ابن قتيبة، ص17.

[2] - المرجع نفسه، ص17.

[3] - ينظر ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص115، وينظر نزهة الالباء في طبقات الادباء، لابن الأنباري، تح: مُحَمَّد ابي الفصل، دار النهضة، مصر، ص 209 .

ويبدو أنه بالكوفة ولد ولم يُقم بها كثيرا فانتقل في صباه على الأرجح إلى بغداد وأطال الإقامة بها حتى عد من أبنائها. (قُتيبَة) بضم القاف وفتح التاء وسكون الياء فباء ثم هاء ساكنة يقول تصغير قِتبة بكسر القاف وسكون التاء معناها المعي أو الإكاف وهو ما يوضع على ظهر الراحلة.

وقد أثرت حياة بغداد في نشأته الفكرية، حيث تلقى العلم على يد جماعة من علمائها الأجلاَّء، فأخذ الحديث عن أئمته المشهورين مثل إسحاق بن رهويه وتلقى النحو عن جماعة من علماء الكوفة والبصرة مثل أبي حاتم السجستناني والذي سبقه من اللُغويين النابهين ومن اشتهر بدراسات النحو من البصرين إمامهم سيبويه ومن الكسائي. وتأثر في شبابه بما يدور في أوساط العلماء من جدل وتناظر بين المعتزلة وأهل السنة وأُعجب بالمعتزلة في فجر حياته حكى ذلك في (كتابه تأويل مختلف الحديث)[1].

ويقال له الدينوري لأنه ولي قضائها فأقام بها مدة اتصل فيها بأولئك المحدثين والفقهاء، وتدارس معهم أمور الفقه والدين من ثم عاد إلى بغداد ووجد شمس المعتزلة آخذة في الأفول بعد أن ولَي الخلافة جعفر المتوكل الذي ساعد أهل الحديث والسنة على الظهور على منافسيهم، فتقدم ابن قتيبة ليدلي بدلوه ويستنصر للسنة بعد أن كان معتزليا، وجمع من الآراء كتب أعانته على ذلك. اتصل ابن قتيبة برجال الدولة كعادة غيره من العلماء والأدباء وعرف منهم الوزير أبا الحسن عبيد الله بن يحي بن حاقان وزير المتوكل وابن المعتمد وأهدى إليه كتابه (أدب الكاتب).[2]

استمرت حياته العلمية ببغداد، وعمل بالتدريس وكان يقرأ كتبه على تلاميذه منهم ابنه أحمد بن عبد الله بن مسلم والذي حدث بكتب أبيه.

---

[1] **–ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: مُحَّد يوسف الدقاق، المجلد7، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،1407هـ–1987م، ص438، تاريخ آداب اللغة العربية، جورجي زيدان، ص487 .**

[2] **– نوابغ الفكر العربي، ابن قتيبة، مُحَّد زغلول سلام، ص22.**

ث- وفاته :

توفي ابن قُتيبة، فيما يقول تلميذه أبو القاسم إبراهيم الصائغ: أنه أكل هريسة، فأصاب حرارة، ثم صاح صيحة شديدة، ثم اغمي عليه إلى وقت صلاة الظهر، ثم اضطرب ساعة، ثم هدأ، فما زال يتشهد إلى وقت السحر، ثم مات وذلك أول ليلة من رجب سنة 276هـ ".[1]

ويغلب على الظن أن الهريسة كانت فاسدة فأصيب بالتسمم من جراء فسادها.

1 –ابن قتيبة، تأويل مشكل القرءان، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 2007، ص10.

المبحث الثاني: آراؤه النقدية في كتابه الشعر والشعراء.

يعتبر كتاب الشعر والشعراء آخر ما ألف من كتبه في الشعر ومن أهمها فيما يتصل بالنقد، وأوسعها شمولا لآرائه فيه، وقد قسمه ابن قتيبة إلى قسمين الأول على شكل مقدمة للكتاب موضوعها الشعر، والثاني موضوعه الشعراء.

وقال في أوله: "هذا كتاب ألفته في الشعراء، أخبرت فيه عن الشعراء و أزمانهم و أحوالهم في أشعارهم، وقبائلهم وأسماء أباءهم، ومن كان يعرف باللقب أو بالكنية منهم وعما استحسن من أخبار الرجل، ويستجاد من شعره، وما أخذته العلماء عليه من الغلط والخطأ في ألفاظهم ومعانيهم، وما سبق إليه المتقدمون فأخذ عنهم المتأخرون، وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوحدة التي يختار الشعراء عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته في الجزء الأول".[1]

ثم يبين قصده فيقول: "وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب، وفي النحو، وفي كتاب الله عز وجلَّ، وحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم، فأما من خفي اسمه، وقل ذكره، وكسد شعره، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص".[2] ومن هذا تبين لنا كيف قسم ابن قتيبة كتابه الشعر والشعراء، حيث ضمن الجزء الأول من كتابه أهم القضايا المتعلقة بالشعر التي تتمثل في يلي:

1- قضية اللفظ والمعنى.

2- قضية القديم والمحدث.

3- قضية الطبع والصنعة.

4- قضية بناء القصيدة العربية.

---

[1] **-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص59.**

[2] **- المصدر نفسه، ص59.**

1. قضية اللفظ والمعني:

يقول ابن قتيبة: "تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب: ضرب منه حسن لفظه وجاد معناه كقول القائل في بعض بني أمية:

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرينه شمم

يغضي حياء ويغضي من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

لم يقل في الهيبة أحد أحسن منه...وضرب حسن لفظه وحلا فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعني كقول القائل:

ولما قضينا من منى كل حـــــاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

وشدت على هدب المهارى رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح

أخذنا بأطـــــــراف الحديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح

وهذه الألفاظ كما ترى، أحسن شيء مخارج ومطالع ومقاطع، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدته: ولما قطعنا أيام مني واستلمنا الأركان، وعلينا إبلنا الأنضاء، ومضى الناس لا ينظر الغادي الرائح، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطي في الأبطح وهذا الصنف في الشعر كثير...وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

هذا وإن كان جيد المعنى والسبك، فإنه قليل الماء والرونق.... وضرب منه تأخر معناه وتأخر لفظه...كقول الخليل بن أحمد العروضي:

إن الخليط تصدع فطر بدائك أودع

لولا جوار حسان حور المدامع أربع

أم البنين وأسما ء والرباب وبوزع

لقلت للراحل ارحل إذا بدا لك أودع

وهذا الشعر بيّن التكلف رديء الصنعة...ولو لم يكن في هذا الشعر إلا أم البنين وبوزع لكفاه".[1]

من خلال هذا التقسيم الذي وضعه ابن قتيبة يتبين لنا مفهوم اللفظ والمعنى عنده" وليس من شك في أن هذه الشواهد التي ذكرها لكل نوع كفيلة بأن تكشف لنا حقيقة الكلمتين عنده، فإذا تركنا الضرب الأول الذي حسن لفظه وجاد معناه إلى الضرب الثاني الذي يحسن لفظه ويحلوا، إذا فتشته لم تجد وراءه كبير معنى فسنجد أنه يصف الأبيات:

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالأركان من هو ماسح

بأنها أحسن مخارج ومطالع ومقاطع، فكأن كل ما فيها من جمال إنما يعود إلى الشكل الخارجي للألفاظ، وواضح أن ما يعزوه من جمال للألفاظ ليس إلا لتكوينها الصوتي والموسيقي، وما يكون

[1]– ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص70.

بينهما من إيقاع حسن...فكأن ما يتسبب للفظ عند ابن قتيبة إنما هو وقع الكلمات في الأذن وحسن تأثيرها على السمع، ويري أن هذا منفصل على المعني تماما".[1]

وبهذا فإن المعنى عند ابن قتيبة يشمل مضمون ومحتوى القصيدة وما تحتويه من قيم أخلاقية وحكم فلسفية ونلمس ذلك جليا من خلال الشواهد التي أوردها. فبيتا الحزين الكناني يدلان على الهيبة، وبيت لبيد يدل على الكبر، ولهذا السبب نفسه أسقط الأبيات السابقة (ولما قضينا من منى) وجعلها ممن حسن لفظه وساء معناه، ويعلق الدكتور مُحَمَّد مندور على نظرته للمعاني فيقول: "أنها نظرة ضيقة، إذ من الواضح أن مادة الشعر ليست المعاني الأخلاقية، كما أنها ليست الأفكار، وأن من أجوده ما يمكن أن يكون مجرد تصوير فني كما أنه ما لا يعدوا مجرد الرمز لحالة نفسية، رمزا بالغ الأثر قوي الإيحاء، لأنه عميق الصدق على سذاجته، ولعل من خير الأمثلة على ذلك قول ذي الرمة الشاعر الرقيق الحس وقد حط رحاله بمنزل الحبيبة وتفقدها فلم يجدها:

عشية مالي حيلة غير أنني بلقط الحصى والخط في التراب مولع

أخط وأمحو الخط ثم أعيده بكفي والغربان في الـــدار وقـــع

فأي معنى يريد ابن قتيبة من مثل هذه الصورة الجميلة الصادقة".[2]

[1] – مُحَمَّد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص 279.

[2] – مُحَمَّد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص32.

ويعلق الدكتور العشماوي على رأي ابن قتيبة في قضية اللفظ والمعنى بقوله: "وأغلب الظن أن الذي أعجب ابن قتيبة في قول أوس بن حجر:

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

ليس هو التعبير عن حالة نفسية استطاع الشاعر أن يحققها تحقيقا رائعا في كلماته البسيطة عندما أشاع الإحساس بالجزع على موت صاحبه واللوعة لفراقه...

نقول: أغلب الظن أن ابن قتيبة لم يعجب في البيت بهذه المشاعر كلها، وإنما الذي أعجبه فيها أنها حقيقة من حقائق النفس، وهي عجز الإنسان العاجز أمام قوة الموت، وفما عدا هذا من مجرد التعبير عن المعنى اللاذع الذي يملأ قلب الشاعر لفقدانه صاحبه.

ليس لدينا من شك إذن، بعد دراسة الشواهد التي تمثل بها ابن قتيبة من أن كلمة المعنى عنده هي الأفكار الفلسفية والخلقية الخاصة، أو التصورات الغريبة أو الطرائف النادرة. أما مجرد التصوير الفني لحالة نفسية أو شعورية خاصة فليس من المعنى في شيء".[1]

ومن هذا التحليل الذي قاما به كل من الدكتور مُحَمَّد مندور والدكتور العشماوي يتبين لنا: أن الشعر الذي لا يحتوي على مضمون أخلاقي أو حكم فلسفية أو طرائف غريبة أو تصورات نادرة. لا يعتبر في نظر ابن قتيبة شعرا ذا معنى، فالمعنى في الشعر عنده مجرد المحتوى المنطقي للكلام.

[1] – **مُحَمَّد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، ص 281.**

2. قضيـة القديم والمحدث:

حدد ابن قتيبة لنفسه منهجا منذ البداية في كتابه الشعر والشعراء، أعلن فيه الثورة على القديم وعلى طريقة تفكيرهم، وعلل ذلك بأن العلم ليس له زمان ولا مكان ولا يضبطه وقت دون وقت حيث قال:" ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلدوا واستحسنوا بإحسان غيره ولا نظرت إلى المتقدم بعين الجلالة لتقدمه وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره، بل نظرت بعين العدل بين الفريقين وأعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه، فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله.

ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثا في عصره، وكل شرف خارجية في أوله فقد كان جرير والفرزدق والأخطل يعدون محدثين، وكان أبو عمرو بروايته، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم، وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا، كالخزيمي والعتابي والحسن بن هانئ وأشباههم فكل من أتي بحسن من قول أو فعل أو فعل ذكرناه له، و أثنينا عليه به، ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حداثة سنه، كما أن الردي إذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه".[1]

بهذه المقدمة بدأ ابن قتيبة كتابه الشعر والشعراء، كما بينا سابقا، ونتمثل هذه الأسس فيما يلي:

1- الجودة والرداءة في الشعر ليست مقصورة على زمن دون زمن «ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن».

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص62–63.

2- كل شاعر في زمنه يُعد محدثا، لذلك لا فرق بين قديم ومحدث في الشعر إلا في الجودة. «فقد كان جرير والفرزدق والأخطل محدثين...ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم».

3- الجودة والرداءة في الشعر لا ترتبط بشيء خارجي، كحداثة السن أو شرف القبيلة أو الشاعر، وإنما يُثني على كل من جاء بشعر حسن.

ولو تأملنا هذا الكلام لوجدنا أن ابن قتيبة قد وضع منهجا جديدا يستحق الثناء والتقدير، وهو منهج أنصف فيه الشعر و أدخلهم مرحلة جديدة في النقد مبنية على أسس منطقية تحتكم إلى معيار الجودة والرداءة، بعيدة عن الأحكام الذاتية القديمة المتعصبة للزمن والمكان، غير أنه لو تصفحنا كتاب الشعر والشعراء وانتقلنا من الجانب النظري إلى الجانب التطبيقي "ألفينا ابن قتيبة يهمل في كتابه الشعر والشعراء رجلين من أبرز شعراء عصرهما، شغلا الناس بهما زمنا ليس بالقصير، وهو أبو تمام والبحتري وثانيها –كما هو معروف- يمثل طريقة العرب أو يقوم بعمود الشعر كما قال، و أولهما يغوص وراء المعاني ويغرق في البديع".[1]

إضافة إلى هذا ما مفهوم الجودة والرداءة عند ابن قتيبة؟

يقول الدكتور عثمان موافي: "ويبدوا أنه يقصد بذلك عذوبة اللفظ وطرافة المعني ويتصل بذلك صحة الوزن وحسن الروي ونبل المعنى ونبل قائله وحسن التصوير، وهذه هي مقايس المحافظين في نقد الشعر التي ترتبط ارتباطا وثيقا بعمود الشعر عندهم".[2]

---

[1] – عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العَلوي، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر الشريف، ص436.

[2] –عثمان موافى، دراسات في النقد العربي، دار المعرفة الجامعية،2000، ص89.

وبهذا يكون ابن قتيبة قد رجح كفة القدماء على المحدثين دون أن يصرح بذلك فهو عند استخدامه لمقاييس الشعر التي يبني على أساسها معيار الجودة والرداءة. إنما يعتمد على المقاييس القديمة المتمثلة في عمود الشعر. "فإذا وزنا بها القديم رجح، وخاصة في هذا الموضوع، لأن المحدث الذي يطالب بان يجاري القدماء في وصف الأطلال وهو لم يعاين حياة البادية، وإنما يعيش في المدينة في الحضر بين الحدائق والقصور، مقصرٌ لا محالة، لأنه مقلد غير مبتكر يجري في ذلك على نهج مطروق لا جديد فيه ولا مجال لجديد".[1]

وواضح من هذا المنهج أن ابن قتيبة قوم الشعر المحدث بمقياس المحافظين من النقاد، فكل ما وافق الشعر الجيد من القديم وسار على نهجه قبله، وكل ما لم يوافقه يرفض، ولعلّ هذا التعليل يفسر لنا اسقاط أبو تمام وهو رائد الشعراء المحدثين من كتابه الشعر والشعراء، فعدم التزامه بعمود الشعر وإغراقه في المعاني ومخالفته للقدماء فرض على ابن قتيبة أن يسقطه من قائمة الشعراء المحدثين عنده.

وبناء على هذا يمكننا القول: "بأن ابن قتيبة لم يقبل الشعر المحدث جملة، بل قبل بعضه ورفض بعضه، وإن موقفه من هذا الشعر لم يتعد اتخاذ الجيد من القديم، أساسا لقبول هذا الشعر أو رفضه".[2]

3. قضية الطبع والصنعة:

قسم ابن قتيبة الشعراء إلى متكلفين ومطبوعين، ثم فصّل القول فيهما من وجهة نظره، فبدأ بالتعريف فقال: "ومن الشعراء المتكلف والمطبوع، فالمتكلف هو الذي قوم شعره بالثقافة، ونقحه بطول التفتيش، وأعاد فيه النظر بعد النظر، كزهير والحطيئة، وكان الأصمعي يقول: زهير والحطيئة

---

[1]– محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى ق4هـ، منشأة المعارف بالإسكندرية، ص140.

[2]– عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، ص89.

وأشباههما من الشعراء عبيد الشعر، لأنهم نقحوه ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوعين، وكان الحطيئة يقول: خير الشعر الحولي المنقح الممحكّك، وكان زهير يسمي كبر قصائده الحوليات".[1]

ثم قال: أن المتكلف من الشعر لا يخفي على أهل العلم بالشعر:" والمتكلف من الشعر وإن كان جيد محكما فليس به خفاء على ذوي العلم، لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير وشدة العناء، ورشح الحبيبين وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه، وزيادة ما بالمعاني غنى عنه".[2]

ومن أمثلته قول الفرزدق فيعمر بن هبيرة لبعض الخلفاء:

أوليت العراق ورافديْهِ فزاريّ أحذَّ القميص

يريد: أوليتها خفيف اليد: يعني في الخيانة، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص، ورافده (الدجلة والفرات).

وكقول آخر:

من اللواتي والتي واللَّاتي زعمن أني كبرت لداتي

وكقول الفرزدق :

وعضَّ زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلَّف

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص77–78.
[2] – المصدر نفسه، ص88.

فرفع آخر البيت ضرورة، وأتعب أهل الإعراب في طلب العلة، فقالوا وأكثروا، ولم يأتوا فيه بشيء يرضي، ومن ذا يخفي عليه من أهل النظر أن كل ما أتوا به من العلل احتيال وتمويه؟ وقد سأل بعضهم الفرزدق عن رفعه إياه فشتمه وقال: على أن أقول وعليكم أن تحتجوا!!. وقال: " وتتبين التكلف في الشعر أيضا بأن تري البيت فيه مقرونا بغير جاره، ومضموما إلى غير لفقه، ولذلك قال عمر بن لجئ لبعض الشعراء: أنا أشعر منك، قال: وبم ذلك؟ فقال: لأني أقول البيت وأخاه، ولأنك تقول البيت وابن عمه".[1]

هذا من التكلف في الشعر ومظاهره و أقدر الناس على إدراكه وكشفه.

أما المطبوع من الشعراء فعرفه بقوله: "والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر* واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وفي فاتحته قافيته، وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة*، وإذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحَّر*".[2]

ويعتبر ابن قتيبة أن الشعراء ليسوا سواء في الطبع وإنما هم مختلفون فيه قال في ذلك: "والشعراء أيضا في الطبع مختلفون: منهم من يسهل عليه المديح ويعسر عليه الهجاء. ومنهم من يتيسر له المراثي ويتعذر عليه الغزل. وقيل للعجاج: إنك لا تحسن الهجاء؟ فقال: إن لنا أحلاما تمنعنا من أن نَظلم، وأحسابا تمنعنا من أن نُظلم، وهل رأيت بانيا لا يحسن أن يهدم."[3]

---

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص90.

[2] –المصدر نفسه، ص90.

*سمح بالشعر: جاد به عن سخاء.

* الغريزة: القريحة والسجية والطبيعة من خير أو شر.

*ولم يتزحر: لم يئن: من الزحير، وهو إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة.

[3] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص94.

وابن قتيبة رفض التسليم برأي العجاج هذا وعلق عليه بقوله: "وليس هذا كما ذكر العجاج، ولا المثل الذي ضربه للهجاء والمديح بشكل، لأن المديح بناء والهجاء بناء، وليس كل بان بضرب بانيا بغيره. ونحن نجد هذا بعينه في أشعارهم كثيرا، فهذا ذو الرمة، أحسن الناس تشبيها وأجودهم تشبيبا، وأوصفهم لرمل وهاجرة وفلاة، وماء وقراد وحية، فإذا صار إلى المديح والهجاء خانه الطبع، وذاك أحّره عن الفحول، فقالوا: في شعره أبعار غزلان ونقط عروس. وكان الفرزدق زير نساء وصاحب غزل، مع ذلك لا يجيد التشبيب. وكان جرير عزهاةً عن النساء عفيفا، وكان مع ذلك أحسن الناس تشبيبا وكان الفرزدق يقول: ما أحوجه مع عفته إلى صلابة شعري، وأحوجني إلى رقة شعره لما ترون".[1]

ولعل الذي لمح له ابن قتيبة من خلال هذه الفقرة قول ابن سلام: "من أن الشاعر يفضل الآخر بكثرة ما يجيد القول فيه من الأغراض. ولهذا تخلف ذو الرمة عن الفحول من زملائه لأنه لم يجد القول إلا في الوصف بينما أجاد زملاؤه في كثير من الأغراض وخاصة المديح والهجاء. وكان لهما الشأن في عصره".[2]

4. بناء القصيدة العربية:

تكلم ابن قتيبة عن أسس بناء القصيدة العربية القديمة. ووضع عليها أصلا من الأصول النقدية، ألزم الشعراء بالسير على نهجها، وعدم الخروج على منوالها، ولعل ابن قتيبة فيما حذر منه في بداية كتابه من حيث يقول: "إن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها ظاعنين عنها إذا كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر، لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ. وتتبعهم

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1،ص94.

[2] – مُحَمَّد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى ق4هـ، ص143.

مساقط الغيث حيث كان. ثم وصل ذلك بالنسي، فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق، ليُميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه ويستدعي به اصغاء السامع إليه، لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وألف النساء، فليس أحد يخلو من أن يكون معلقا منه بسبب، وضاربا فيه بسهم، حلال أو حرام، فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع إليه عقَّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النصب والسهر، وسرى الليل، وحر الهجير وانضاء الراحلة والبعير، فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأهيل، وقرر عنده ما قاله من المكاره في السير، بدأ في المديح فبعثه على المكافأة، وهزَّه للسماح وفضله على الأشباه وصغَّر في قدره الجزيل".[1]

وبعد أن بين ابن قتيبة بنية القصيدة العربية، يأتي بعد ذلك ليفرض على الشعراء عدم الخروج على هذا النهج الذي ارتسمه الأقدمون حيث يقول: "وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام، فيقف على منزل عامر، أو يبكي عن مشيد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر، والرَّسم العافي. أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما، لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير، أو يرد المياه العذاب الجواري، لأن المتقدمين وردوا على الأواحن الطوامي. أو يقطع إلى الممدوح منابت الشيح والحنوة والعرارة".[2]

بالرغم من الطرح الموضوعي الذي قدمه ابن قتيبة حول قضية الشعر المحدث فإنه رفض أي تجديد يمس الأصول العامة لبناء القصيدة العربية، وبهذا يكون قد أغلق المجال أمام المحدثين للولوج لأي تجديد يكون سببا في تغير الأطر الفنية للقصيدة العربية.

---

[1] – ابن قتيبة ،الشعر والشعراء،ج1، ص 75.

[2] – المصدر نفسه، ص 76–77.

ويبدوا من طرحه هذا أنه يقصد بذلك أبا النواس ومن سار على نهجه الذين كثر وقوفهم على القصور والحانات بدلا من أطلال الصحراء، وأعلنوا ذلك في شعرهم ويوضح هذا القول أبي النواس مثلا:

عاج الشقي على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد

والواقع أن أبا النواس على صواب في هذا، لأن يصف أطلال عصره ومجتمعها الحضري لا أطلال العصر الجاهلي وبيئته البدوية وهذا برأي الصدق الفني بعينه".[1]

كما يرى الدكتور طه إبراهيم أن ابن قتيبة: "وإن وقف موقفا وسطا بين القدماء والمحدثين من حيث بلاغة القول ووجودها عند هؤلاء وهؤلاء فقد مال إلى القدماء من حيث طريقتهم ونهجهم في القصيد، وجارى كثيرا من العلماء واللغويين في أن هذه الأصول القديمة يجب أن لا تمس في جوهرها، فليس لشاعر محدث أن يخرج على مذهب المتقدمين في الأقسام التي يجيئونها في ابتداء القصائد، ليس لمحدث أن يقف على منزل عامر ولا أن يرحل على فرس ولا أن يقطع إلى الممدوح منابت النرجس والورد لأن المتقدمين وقفو بالمنزل الدارس ورحلوا على الإبل وجروا على قطع منابت الشيح".[2]

بهذا التوجه وهذه الرؤية يكون ابن قتيبة قد هدم أهم أصل من الأصول التي بنى عليه رؤيته، وهو عدم التحيز للقديم وعدم إهمال الحديث لمجرد القدم، بأن فرض على المحدثين عدم الخروج على منهج القصيدة القديمة والالتزام بقواعدها وأسسها. فأي انحياز يكون بعد هذا للقدماء؟.

[1] – عثمان موفي، دراسات في النقد العربي، ص92.

[2] – طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص122.

والحقيقة التي لا خلاف فيها كما يبدو، أن ابن قتيبة لم يستطع أن يتحرر من تأثير قيود القديم عليه، ولا أن يخفي هذا في كتاباته، ولا حتى أن ينكر حبه له، كيف لا وهو الذي درس عند جهابذة علمائهم، وتشبع بأفكارهم وورد من معين لغتهم، واستسقى من ماء بلاغتهم، بالإضافة إلى هذا كله اشتغاله بالقضاء الذي أثر على توجهه تأثيرا بليغا، لا من حيث رفضه لأشعار المجون واللهو وغيرها، بل حتى في نظرته عند استخراج المعاني من أشعار القدماء والمحدثين وطريقة المفاضلة بينهما، فالاحتكام عنده يكون على معيار الجودة والرداءة، لا من حيث البناء الفني للأبيات، وإنما من حيث المعنى إن صح التعبير الأخلاقي لها، هذا ما لمسناه عنده سابقا في قضية اللفظ والمعنى وخصوصا عند اسقاطه لأبيات (ولما قضينا من منى كل حاجة) والتي كشفت إلى حد بعيد الخلفية التي كان يفاضل بها بين الشعراء، فالميزان الذي وضعه ابن قتيبة في المفاضلة بين القدماء والمحدثين هو ميزان القدماء إن نحن أغفلنا المقدمة التي جاء بها في كتابه الشعر والشعراء، والتي وإن لاحظنا لها تطبيقا ففي بداية كتابه عند تقسيمه للشعر من حيث اللفظ والمعنى، وذلك عندما أورد أبيات للقدماء والمحدثين في محاولة منه أن يقف موقفا وسطا يوازن فيه بين كفتي القديم والمحدث وذلك بإيراد جيد كل منهما، ثم يتبعه بالرديء ليبين أن الجيد ليس مقصورا على القدماء وحدهم كما أن الرديء ليس من سمة المحدثين وحدهم، بل إن الرديء والجيد موجود في كل زمان ومكان، ولعل هذا الذي أراد أن يثبته في بداية مقدمته حين قال: "ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثا في عصره".[1]

ثم بعد هذا الموقف لم يقم ابن قتيبة بأي خطوة أخرى تحسب له في إنصاف المحدثين بل على العكس قد مال إلى ترجيح كفة القدماء دونما شعور منه، كما لاحظنا ذلك آنفا.

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص62–63.

المبحث الثالث: آراء ابن قتيبة في نقده للشعر في كتبه الأخرى.

لعب ابن قتيبة في الساحة النقدية والأدبية دورا كبيرا وفعالا، وهذا لما كان يحويه من معارف وعلوم اللغة العربية والفلسفية، فقد كان ذا منهج نقدي واسع يشغل الكثير من المجالات الثقافية والفكرية، فهذا الأخير كان يقف وسيطا بين القارئ والأديب فيفسر عمل الأديب ويُعين القارئ على فهم إنتاجه الأدبي عن طريق تحليله لهذا العمل الأدبي وتبيان خصائصه الجمالية وما يتضمنه هذا الإنتاج من فكر ومعنى، إن دائرة النقد عند ابن قتيبة كانت واسعة لكون هذا الأخير عالج الكثير من الأطروحات الأدبية متخذا من نصوصها مجالا للحكم، معتمدا على أسس نقدية سابقة أو مبتكرة مبلورا هذا العمل في كثير من الكتب، منها ما يتعلق بالشعر وبطريقة تفسيره وتحليله، وبعضها الآخر شمل حيز النقد بين القديم والحديث، ومن أهم هذه الكتب نجد كتاب (أدب الكاتب)، وهو من سلسلة الكتب التي ألفها العلماء لإعانة الكتاب المحدثين على الكتابة، "فيبدؤه بمقدمة يضمنها بنصائح للكتاب على طريقة بشر بن المعتمر، إلا أنه يخالف بشرا في مذهبه الفكري ويخالف كذلك الجاحظ في عدم الأخذ بالسهولة بل ينبغي تعلم اللغة العربية والشعر القديم".[1]

يقول في مقدمته: "ومدار الأمر على القطب هو العقل وجودة القريحة، فإن القليل معها بإذن الله كاف، والكثير مع غيرها مقصر، ونستحب لمن قبل عنا وائتم بكتبنا أن يؤدب نفسه قبل أن يؤدب لسانه، ويهذب أخلاقه قبل أن يهذب ألفاظه"[2]، كما يقول كذلك في مقدمته: "ولو أن هذا المعجب بنفسه الرازي على الإسلام برأيه، نظر من وجهة النظر لأحياه الله بنور الهدى وثلج اليقين، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب و أخبار الرسول ﷺ وصحابته، وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها فنصب لذلك وعداه وانحراف عنه إلى علم قد سلمه له ولأمثاله المسلمون، وقلَّ فيه المتناظرون له ترجمة

---

[1]– محمد زغلول سلام، تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، دار المعارف الإسكندرية، ص321.

[2]– ابن قتيبة، أدب الكاتب،ص14 .

تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم، فإذا سمع الغدر والحدث قوله الكون والفساد، وسمع الكيان والأسماء المفردة والكيفية و الكمية والرهان والدليل والأخبار المؤلفة، راعه ما سمع وظن أن تحت هذه الألقاب كل فائدة وكل لطيفة، فإذا طالعها لم يحل منها بطائل، إنما هو الجوهر يقوم بنفسه، والعرض لا يقوم بنفسه ورأس الخط النقطة، والنقطة لا تقسم والكلام أربعة: أمر وخبر واستخبار ورغبة : ثلاثة لا يدخلها الصدق والكذب وهو الخبر والآن حد الزمان مع هذيان كثير، والخبر ينقسم إلى تسعة ألاف وكذا، كذا مائة من الوجوه فإذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالاً على لفظه، وقيدا للسانه وعيًا في المحافل وغفلة عند المناظرين".[1]

إن هذا القول إن دل على شيء فإنه يدل على رأي ابن قتيبة في أصحاب المنهج الفلسفي والمنطقي الجاف، الذي يسعى إلى تفسير كلام الله وسنة نبيه وهذا ما يرفضه ابن قتيبة وينكره ويعتبره خطأ في حق القرءان الكريم والسنة النبوية، وليس هناك من شك في أن ابن قتيبة كان ذا فضل في مقاومة التيار الفكري الجديد وحماية الدراسات الأدبية من طغيانه، وإن الدارس لهذه النظرية يكتشف أنها نظرة صائبة في ذلك الذوق الأدبي والحكم المستقل وكذلك أيضا تجده يطالب من الكتاب الناشئين بعدم التعلق بالفلسفة والمنطق وغيرهما من علوم الأوائل، التي تغري ناشئتهم وتبهر عيونهم وعقولهم، ويطلب إليهم الاهتمام بدلا من ذلك بالقرآن الكريم وبالسنة الشريفة والشعر لينفعهم ذلك في عملهم، إذ لا يصلح لكتاب دولة عربية إسلامية أن لا يتعمق في هذه العلوم، كما تجده أيضا يطالب من الكتاب أن يتقنوا صنعتهم بالتدقيق في الاختيار فيقول: "الألفاظ نهج مراعاة الأسلوب وصحة العبارة بحيث يخلوا من التقعر واللحن ذلك إلى ضرورة مناسبة الكلام لمقتضى الحال".[2]

---

[1] – أدب الكاتب، ابن قتيبة، ص7.

[2] –. ينظر زغلول مُحَّد سلام، تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص321.

فتجده يعرض جملة من الأخطاء اللغوية الشائعة ويبين ما فيها من الخطأ الذي جرى على ألسنة العوام، فيصححه بذكر ما ورد على لسان العرب، ويعمد إلى ذكر معارف لغوية عامة فيتحدث عن باب ما جاء مبني في مستعمل الكلام أو باب ما يستعمل من الدعاء وأصول أسماء الناس المسمين بأسماء النبات و الموسمون بأسماء الطير ويتحدث عن أسماء النجوم والأزمان والرياح والفلك مدار النجوم والمجرة والنجوم سميت كذلك لأنها كأثر المجر. ومنها الخيل وما يستحب في خلقتها وما يستقبح فيورد أمثلة للمحاسن والعيوب في شياتها وألوانها. وخلق الانسان وما يتعلق به وبحياته وطعامه وشرابه وما يستعمله ثياب وسلاح".[1]

وبهذا يكون كتاب (أدب الكاتب) كتابا تعليميا لا يدخل في ميدان النقد بالصورة التي نعرفها الآن وعرفه بها العرب.

إضافة إلى كتاب (أدب الكاتب) نجد كذلك كتاب (المعاني الكبير)، ولقد ضاعت مقدمة هذا الكتاب مع ما ضاع منه فلم نجد في هذا الكتاب إشارة تحدد الغاية منه، ويرى محققه أن هذا الكتاب لون من الاختيارات الشعرية إذن أن "من العلماء من دون الشعر بصفة أهل القبائل كديوان أشعار هذيل، ومنهم من دونه بصفة دواوين لأفراد الشعراء كديوان الأعشى وديوان النابغة الذبياني، ومنهم من اختار عدد من القصائد كالأصمعيات والمفضليات، ومنهم من انتخب قطعا رتبها على حس معانيها كالحماسة لأبي تمام، ومنهم من جمع الأبيات الغريبة المعاني المتباينة على أفهام أكثر الناس وهي أبيات المعاني".[2]

[1] – زغلول مُحَمَّد سلام، تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص322.

[2] – ابن قتيبة، مقدمة المحقق كتاب المعاني الكبير، ص8.

إن النظرة في أبواب هذا الكتاب ترينا أن أكثر مادته في أشياء اغفلتها كتب الأدب، التي تعودت أن تتحدث عن الإنسان مفتخرا أو مادحا أو شاكيا أو عاتبا أو محبا أو كارها وأن أكثرها تنصب على الحيوان والأواني والسلاح والعادات والظواهر الكونية، ففي الأول منها تحدث عن ألوان الخيل وعرقها واضطرام عدوها وحفيفه ولواحقها بالصيد ومشيها وجريها".[1]

فمختصر القول أن المتطلع لهذا الكتاب يرى أن ابن قتيبة يقوم بعملية تفسير لما يورد في الشعر العربي وتصوير الحياة عن طريق المجتمع العربي القديم، وأنه من خلال هذا تبدوا لنا حقيقة نظرة ابن قتيبة إلى الشعر القديم ومدى اهتمامه به، لهذا كان يحاول أن يجمع الكثير من الكتب التي تناولت الشعر القديم في مواضيعها ومحتوياتها.

ويعد ابن قتيبة من كبار نقاد القرن الثالث الهجري، ومن أشهرهم توسعا في البحث العلمي واللغوي، ويعد كتاب الأنواء من أبرز كتبه النقدية التي تناولت فيها قضية الشعر القديم، فتجده يقول في مقدمة هذا الكتاب: "هذا الكتاب أخبرت فيه بمذاهب العرب في علم النجوم مطالعها ومساقطها وصفاتها وصورها وأسماء منازل القمر فيها وأنوائها، وفرق ما بين يمنها وشامها، والأزمنة وفصولها، والأمطار وأوقاتها، واختلاف أسمائها في الفصول وأوقات التبدي وارتياد الكلأ وأوقات حُضور المياه، وما أودعته العرب أسجاعها في طلوع كل نجم من الدلالات على الحوادث عند طلوعه، وعن الرياح وأفعالها وتحديد مهبها وأوقات بوارحها، وعن الفلك والقُطب والمجرة والبروج والنجوم الخنس والشمس والقمر ودراري الكواكب ومشاهرها والاهتداء بها، وعن السحاب ومخايله ماطره ومخلفه والبروق خليّها وصادقها وأمارات خصب الزمان وجدوبه إلى غير ذلك....أدركت بعضها بالتوفيق وبعضها بالاعتبار،

[1] –عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، ص109.

واستخرجت بعضها من الأشعار، ونبهت على اغفال من أغفل من الشعراء وخالف ما عليه أكثرهم لشبهة دخلت عليه".[1]

إن المتمحص في هذا الكتاب يرى عملية التفسير اللغوي المعهودة فيه إذا جاء غريب في بيت أو غامض في فكرة، ولا نستطيع أن نعد ما عمله ابن قتيبة في الكتب الثلاثة من تفسير لمعاني الأبيات أو مفرداتها عملا نقديا، وإن كان قد أدى دورا مهما في تقريب الأبيات من أذهان القارئين ومدركاتهم إلا أنه في الحق لم يتجاوز هذا الحد اللغوي فلم يستطب النصوص التي ذكرها شعوريا أو عاطفيا ولم يبد ما في كلماتها من ظلال جمالية ولم يبين القيم الموسيقية أو الخيالية في أي نص منها، ولكنه ظل لغويا إلى أقصى حد في هذا الجانب، أما الجانب الآخر وهو الذي يبسط فيه الحياة من خلال النصوص، فلا شك أنه ظاهرة نقدية تعتمد على فكرة قديمة أو حديثة في آن واحد.

فمنذ القديم والفكرة السائدة عن الشعر الجاهلي "أنه ديوان العرب" ومستقر علومهم وعاداتهم وتقاليد هم، ولا زلنا حتى الآن نقدر الشعر والأدب عامة بمقدار التزامه بالحياة والمجتمعات ومشاكلها إما نقدا أو توجيها، فابن قتيبة استطاع أن يقدم هذه النظرية على الشعر الجاهلي، وإن لم يلتزم نصا واحدا يستشفه إلا أنها بداية دراسة عملية دقيقة على كل حال"[2].

لقد حاول ابن قتيبة في هذا الكتاب (الأنواء) أن يوضح مكانة الشعر عند العرب، بحيث كانت لا تعرف علما أصح منه، فكان هويتهم وصورتهم ومستقر لعلومهم وتقاليدهم، فالشعر كان يرتبط ارتباطا وثيقا بالشاعر العربي القديم، فكان وسيط بين الشاعر والمحيط الذي يعيش فيه، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مدى اهتمام ابن قتيبة بالشعر العربي القديم وبالتيار القديم، فكان يعتبره

---

[1] – ابن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، صحح عن النسخ المحفوظة في المكاتب الشهيرة،(مكتبة بودلين اكسفورد، تحت رقم 480)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ص1–4

[2] –ينظر عبد السلام عبد الحفيظ، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، ص113

مصدر من مصادر اللغة وإن هذه النظرة هي في الحقيقة نظرة نقدية قديمة سبقه إليها الكثير من النقاد وهو حريٌ أن يسير على نهجها.

بالإضافة إلى مجموعة الكتب التي تطرقنا إليها فيما سبق يوجد هناك أيضا كتاب آخر من أهم الكتب التي تناولها ابن قتيبة في مدوناته النقدية وهو كتاب (تأويل مشكل القرءان)، وهذا الكتاب درس فيه قضية الشعر الجاهلي في مشكل القرءان، بحيث يلعب الشعر دور كبير في تفسير القرءان الكريم، فله دور استشهادي وما يبرر هذا قوله:" أن القرءان نزل بألفاظ العرب ومعانيها ومذاهبها في الايجاز والاختصار والاطالة والتوكيد والاشارة إلى الشيء واغماض بعين المعاني حتى لا يظهر عليها إلا للفن، وإظهار بعضها وضرب الأمثال لما خفي، ولو كان القرءان كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل لبطل التفاضل بين الناس وسقطت المحنة وماتت الخواطر....وعلى هذا المثال كلام رسول الله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين وأشعار الشعراء، وكلام الخطباء ليس منه شيء إلا وقد قيل فيه المعنى اللطيف الذي يتحير فيه العالم المتقدم ويقر بالقصور عنه النقاب المبرز"[1]، وعلى هذا فالشعر أحد الأسس الكلامية التي جاءت على مثال فنية القرءان الكريم غموضا ووضوحا وطولا واختصارا ومجازا وحقيقة، ويأخذ ابن قتيبة في بيان ذلك فيقول: "ما غمض من معاني آي القرءان لالتباسه بغيره واستتار المعاني المختلفة تحت لفظه وتفسير المشكل الذي ادعى على القرءان فساد النظم فيه، وقبل أن يقوم بذلك يقدم – أبواب المجاز- إذ أن أكثر غلط المتأولين من جهته".[2]

ومن خلال أبواب المجاز التي ذكرها وهي الاستعارة المقلوب والحذف والاختصار وتكرار الكلام والزيادة فيه والكتابة ومخالفة اللفظ لظاهره معناه، نجد الشعر يقوم بدوره الاستشهادي في كل باب من

---

[1] – ابن قتيبة، تأويل مشكل القرءان، ص62.

[2] – المرجع نفسه، ص70

هذه الأبواب المجازية لتأكيد صحة النظرية التي قالها من قبل "من أن القرءان نزل بألفاظ العرب، ودور ابن قتيبة في بيان ما في الشعر من ألوان مجازية مختلفة وكما يقوم بدور تفسيري يقوم كذلك بدور حكمي صريح تبدو ضمنيته، إذا راعينا أن الشعر الذي ذكره على حذو القرءان فنيا، وما دام القرءان على درجة عالية من البيان فيجب على الأقل أن يكون الشعر ممتازا وإلا لما كان سبيله سبيل القرءان".[1]

إن المتفحص لهذا الكتاب يرى أن ابن قتيبة كان يضع القرءان الكريم في أعلى المراتب وفي الدرجة الأولى من اهتمامه، بحيث لا يمكن للشعر أن يجاريه في الابداع رغم ما يحويه هذا الأخير من استعارة وكناية وتكرار للكلام ومخالفة في اللفظ لظاهر معناه، لذلك كان ابن قتيبة يحاول تفسير الشعر على أساس مخالف للتفسير اللغوي الذي اعتمد عليه في كتبه السابقة، وتتضح فنيته في توضيح ما في الشعر من ألوان مجازية مختلفة،. وعلى أية حال فابن قتيبة في موقفه من الشعر خلال تأويل مشكل القرءان لا يصدر عن الحرية العلمية التي قال إنه سلك سبيلها، وإنما هو محكوم بشيء أكبر من حريته وهو اعتقاده ودينه، ولهذا كانت جُل أحكامه مرتبطة بهذا المعتقد، وسنجده يخالف جانبا منها عندما يتحدث عن الشعراء البشريين الذين يخطئون ويصيبون.[2]

وبعد هذا العرض لمجموعة من كتب ابن قتيبة من وجهة نظر نقدية، يمكن إبراز مجموعة من النتائج أهمها:

أنه كان يعتمد على النقد التقويمي الذي يقوم على اصدار الأحكام بناء على قواعد عامة وسابقة أو مبتكرة، ولكنه لا يذكرها إلا في القليل النادر. كما أن نقده يميل بشكل كبير إلى

---

[1] – ينظر عبد السلام عبد الحفيظ، كتاب نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا، ص114.

[2] – المرجع نفسه، ص 115.

الموضوعية أحيانا، فتجده يذكر أسباب الحكم الذي رآه أو اقتنع به، وأحيانا يكون لحكمه تأثير خال من أي تبرير، وبالتالي يمكن القول في اجمال المناهج النقدية الجديدة على أنها كلها تفسيرية وحكمية ذاتية وموضوعية، قد تمثلت بشكل أو آخر قليل أو كثير في نقد ابن قتيبة دون أن يكون على معرفة محدودها في غالب الظن.

المبحث الرابع: دراسة وتحليل لموقف ابن قتيبة

من خلال ما سبق ذكره عن ابن قتيبة وخصوصا حول نقده للشعر يتبين لنا أنه: على كثرة ما قدمه لعلوم العربية وآدابها من إنتاج وافر غزير ورغم نظرته المنصفة لنقد الشعر، إلا أنه من الغريب أن نجده من خلال كتابه (الشعر والشعراء) ومن خلال كتابه (أدب الكاتب) كثيرا من النظرات الصائبة في مجال النقد والأدب، ثم ما يلبث في الوقت نفسه يخرج عن تلك الآراء التي تكاد تناقض ما ذهب إليه في بدايته، فهو حين يبدأ كتابه (الشعر والشعراء) يضع لنفسه منهجا يعترض فيه على من يقدم من العلماء الشعر القديم لقدمه، فنجده يقول: "فكل من أتى بحسن من قول أو فعل ذكرناه له وأثنينا به عليه، ولم يمنعه عندنا تأخر قائله أو فاعله، ولا حداثة سنه، كما أن الرديء إذا أورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه"[1]، وتراه يهاجم مذهب الفلاسفة ومنهجهم من خلال مقدمة كتابه (أدب الكاتب) حيث يقول: "ولو أن هذا المعجب بنفسه الزاري على الإسلام برأيه نظر من جهة النظر لأحياه الله بنور الهدي وثلج اليقين، ولكنه طال عليه أن ينظر في علم الكتاب وفي أخبار الرسول صلي الله عليه وسلم وصحابته وفي علوم العرب ولغاتها وآدابها، فغضب لذلك وعاداهُ وانحرف عنه، إلى علم قد سلبه له ولأمثاله المسلمون، وقل فيه الناظرون له. ترجمة تروق بلا معنى، واسم يهول بلا جسم فإذا سمع الغمر والحدث الغر قوله الكون والفساد، وسمع الكيان والاسماء المفردة، فإذا أراد المتكلم أن يستعمل بعض تلك الوجوه في كلامه كانت وبالا على لفظه وقيدا على لسانه، وعيبا في المحافل وغفلة عند المتناظرين".[2]

ويتضح لنا من خلال هذه الفقرتين ثورة ابن قتيبة على نهج العلماء ومنهج الفلاسفة والمناطقة، ومع ذلك لو رجعنا مرة أخرى إلى كتابه (الشعر والشعراء) لوجدنا ما يناقض هذه الدعوة ويهدمها من

---

[1] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص63.

[2] – ابن قتيبة، أدب الكاتب، ص7.

أساسها ومدى تأثره بمنهج العقلانيين والفلاسفة، وإقحامه هذا المنهج في دراسة الأدب وتذوق الشعر وفهم كتاب الله وأخبار رسوله، فتفسيره لتأليف القصيدة العربية وانتقال الشاعر فيها من الغزل إلى وصف الناقة إلى المديح، تفسير يدل على النظرة العقلية الصرفة."[1]

وليس هناك شيء أدل على تأثر ابن قتيبة بالنزعة الفلسفية المنطقية من إخضاعه الشعر للقسمة الحادة الصارمة بين اللفظ والمعنى، معتمدا على الحصر المنطقي طريقا ومنهجا، ضاربا عرض الحائط كل ما حذرنا منه سابقا"[2]، فإذا نظرنا إلى هذه المفارقة اتضح لنا مدى مخالفة ابن قتيبة لما نهجه لنفسه في مقدمة كتابه (أدب الكاتب) ولعل ما يزيد عمق المفارقة عنده انتقاله إلى بنية القصيدة العربية كما لا حظنا سابقا، فيري أنها تنقسم إلى ثلاثة أجزاء رئيسة هي: "المقدمة في النسيب، ثم الرحلة ووصف الراحلة، فالموضوع الرئيس وهو المديح غالبا". ثم يأتي بعد ذلك ليفرض هذا النموذج على المحدثين ويلزمهم به وعدم الخروج عنه. أو إحداث أي نوع من التغيير أو التعديل فيه، وفي هذا يقول الدكتور عثمان موافي: "أنه مهما حاول بعض نقادنا المعاصرين تبرير وجهة نظر ابن قتيبة هذه والإحياء بأنها موجهة لنهج أبي النواس في استبداله بكاء الأطلال بالوقوف على الحانات*، فواضح تماما أن فرضها على القصيدة الحديثة بطريقة تعسفية وإلزام الشاعر المحدث بالتمسك بنصها يقيد حريته الفنية، ويحُدُّ من حركته نحو التجديد والإبداع الفني".[3]

وبهذا يعلن ابن قتيبة وبصريح العبارة المحافظة على النظام القديم للقصيدة العربية، وضرورة التزام الشاعر المحدث بتقاليد الشعر العربي القديم وعدم الخروج عليها باتباع تقاليد جديدة، "وتبدوا هذه

---

[1] –ينظر محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، ص31، وينظر محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي ص277.

[2] –محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي، ص277.

* –إحسان عباس، تاريخ النقد الادبي ،ص112.

[3] –عثمان موافي، الخصومة بين القدماء والمحدثين، ص235.

النظرة من ابن قتيبة معارضة للنظرة السابقة، في حديثه عن القدماء والمحدثين. إذ حاول أن يقف موقفا وسطا، لا يناصر فريقا على آخر، أو طريقة في الشعر على أخرى، إنما قال إن المهم عنده جودة الشعر دون النظر إلى صاحبه، فلا يقدم القديم لقدمه، ولا يؤخر المحدث لحداثته، ولكن مقاييس الشعر التي يبني عليها الجودة والقبح هي نفسها مقاييس الشعر القديم، فإذا وزن بها القديم رجح وخاصة في هذا الموضوع، لأن المحدث الذي يطالب أن يجاري القدماء في وصف الأطلال، وهو لم يعاين حياة البادية وإنما يعيش في المدينة في الحضر بين الحدائق والقصور، مقصر لا محالة، لأنه مقلد غير مُبتكر يجري على نهج مطروق لا جديد فيه ولا مجال لجديد، وبني تصوره لنظام القصيدة على أساس شعر التكسب".[1]

ولعل الذي يزيد من تأكيدنا على ميل ابن قتيبة للقديم وتتبعه لمنهج مشايخه هو إهماله لشاعرين مهمين شغلا حيزا كبيرا من القضايا التي دارت حولها الكثير من الخصومة، ألا وهما البحتري وأبو تمام ولعلنا نجد مبررا لإهماله للبحتري وعدم الترجمة له مع الشعراء المحدثين، كون هذا الأخير لم تكتمل أعماله الأدبية حين ألف الكتاب إذ عاش البحتري بعده وتوفي سنة284هـ.

" أما أبو تمام فقد اكتملت أعماله وتوفي سنة (231هـ أوسنة 232هـ)، وقد ترجم ابن قتيبة لدعبل بن علي الخزاعي وهو متوفى 246هـ، أي بعد أبي تمام بأربعة عشر عاما على الأقل، وإذن فهو يهمل ذكر أبي تمام عن عمد وقصد واختيار، فهل يعني هذا أنه لا يرضى طريقة أبي تمام ولا بشعره كله؟ .

ربما كان من العسف في الرأي أن نقول هذا، لأننا نجد في كتاب باب الشعر من كتاب عيون الأخبار يقتصر على مختارات لبشار وأبي تمام خاصة عدا الأبيات المفردة، والنظرة الطائفة أو الخاطفة في الأبيات التي اختارها للشاعرين...ترى أن لغة البديع بأشكالها المبعدة في الاستعارات، والمتكلفة

[1] **مُحَمَّد زغلول سلام، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة، ص 140.**

للمطابقات والمغرمة بالجناسات ليس لها نصيب واضح فيه، وإن لم تخلو من ذلك تماما، إلاّ أنَّ ما جاء منها لا يمكن لناقد فيه قدر من الإنصاف أن يعيبه لتكلف أو لإبعاد في التصور أو العلاقات أو كثافة في الكميات "[1].

إذن فالمشكلة عند ابن قتيبة تكمن في البديع، فالبديع الذي لا يزيد إلى درجة التعقيد والتكلف، "ولا يصل إلى حد الاجهاد في البحث عن علائق استعاراته وتشبيهاته، لا ينبذ ولا يترك، بل إن هذا البديع عنده أحيانا ما يكون ظاهرة حسن يحسب للشاعر، ولعلنا نحس بذلك في ترجمته العباس بن الأحنف: ومن بديع تشبيهه قوله في المرأة إذا مشت:

كأنها حين تمشي في وصائفها تخطو على البيض أو خضر القوارير"[2]

أما إذا وصل هذا البديع إلى درجة لا توجد بين الألفاظ والمعاني علاقة منطقية. فإن هذا البديع مذموم في نظر ابن قتيبة بصفة خاصة، والنقاد القدماء بصفة عامة، وهذا السبب هو الذي جعل ابن قتيبة يسقط شاعرنا أبو تمام من كتابه الشعر والشعراء رغم أنه ترجم لكثيرا من الشعراء الذين عاشوا بعده.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن ابن قتيبة اعتمد في ترجمته للشعراء على المعايير القديمة والمتمثلة في عمود الشعر، فما وافق هذا النهج ترجم له وأشاد به وقاس جودته بجودة القدماء، ومن لم يسر على خطاهم رفض شعره ولم يضعه في ميزان النقد عنده.

---

[1] – عبد السلام عبد الحفيظ، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، ص437.

[2] – المرجع السابق، ص438.

وربما تسامح ابن قتيبة مع البديع الذي لا يؤدي إلى التعقيد والتكلف وهذا الأمر لم يكن جديدا أو مقصورا عليه، فقد رأينا نظرة مماثلة لأستاذه الأصمعي الذي بدا غريبا في تقديمه بشارا على مروان بن أبي حفصة معللا سبب هذا التقديم: "بأن مروان سلك طريقا كثر سلاكهُ فلم يلحق بمن تقدمه، وإن بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد فانفرد به وأحسن فيه وهو أكثر فُنون وأقوى على التصرف وأغزر وأكثر بديعا، ومروان آخذ بمسالك الأوائل".[1] ولم يكن الأصمعي وحده من فعل هذا بل جاء من بعده الجاحظ الذي اعترف بشعراء البديع بقوله: "وبشار حسن البديع والعتاب يذهب في شعره في البديع مذهب بشار"[2]، وأشاد بشعر أبي النواس واستشهد ببعض شعره كما لاحظنا سابقا.

ومن هنا يتبين لنا أن ابن قتيبة "يحتذي في موقفه من القديم والجديد طرائق أساتذته فإذا أعجبهم البديع في حدود الاعتدال ترجم لمن أعجبوا به من أصحاب البديع. وإذا هم أهملوا الجانب المغرق في ابعاد الصور تجاوز هو هذا الجانب أيضا وصاحبه لم يحظ عنده باهتمام".[3]

والخلاصة التي نصل إليها من خلال هذا التحليل أن ابن قتيبة لم يختلف كثيرا عن أساتذته ومشايخه في دراسته للشعر ولعل الاختلاف الوحيد ذلك الذي أعلنه في مقدمة كتابه الشعر والشعراء حين قال: "فإني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له إلا أنه قيل في زمانه أو أنه رأى قائله".[4] وغير ذلك لم نجد له اثرا في ثنايا كتابه بل نراه مخالفا لما قاله سابقا حين أعلن على المحدثين الالتزام ببنية القصيدة العربية.

---

[1] – الاصمعي، فحولة الشعراء، ص47.

[2] – الجاحظ، البيان والتبين، ج1، ص45.

[3] – عبد السلام عبد الحفيظ، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العلوي، ص442–443.

[4] – ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص62.

ولعل نظرة ابن قتيبة للشعر كما رأينا لا تختلف عمن سبقه من النقاد واللغويين والرواة، فنظرة الأصمعي وهو من المتعصبين للقديم حينما أسقط فيها الشعراء المحدثين أمثال (الفرزدق وجرير والأخطل) رغم شهادته بجودة شعرهم، لا تختلف عن نظرة تلميذه ابن سلام الجمحي التي أسقط فيها شعر الطرماح وعمر بن أبي ربيعة، وهي النظرة التي تكاد أن تكون على شاكلتها عند ابن قتيبة حين أسقط فيها من كتابه الشعر والشعراء أبي تمام والبحتري.

إذن فالمسألة ليست مسألة جودة أو رداءة وإنما هي مسألة وقت حتى يثبت الشاعر وجوده في الساحة الأدبية، ويعلن الناس أعجابهم به بروايته وتداوله، مجبرا بذلك النقاد والرواة اللغويين على تقبل هذا الشعر الجديد. ليصبح فيما بعد قديما ببعد العهد عنه، ولعل أبو تمام والبحتري والمتنبي وغيرهم خير مثال على ذلك فما كاد يستسيغ الناس والنقاد واللغويين شعر أبي تمام حتى ظهر المتنبي بشعره الذي شغل الناس والنقاد والشعراء ودارت حوله الكثير من المعارك النقدية والأدبية.

ثم إن هذه النظرة إلى القديم والمحدث لم تكن جديدة على ابن قتيبة فقد سبقه إلى ذلك الجاحظ ولعل الاختلاف الوحيد بين نظرته ونظرة الجاحظ يكمن فقط في أن الجاحظ فضل منذ البداية العرب عامة على المحدثين وذلك لاقتدارهم على قول الشعر ولتمكنهم من زمام اللغة والبلاغة والنحو وغير ذلك، والمحدثين ما هم إلا مقلدين وسائرين على نهجهم وإن كان لهم فضل الابداع والحسن والجودة في كثير من الأحيان.

وقد حاول ابن قتيبة أن يقف من خلال المقدمة التي وضعها موقفا معتدلا، يكون فيه القاضي العادل الذي يحكم بين القديم والمحدث بميزان الجودة والرداءة على الرغم من عدم استطاعته تطبيق لهذا المنهج.

الخاتمة

خاتمـــــة:

وبناء على ما سبق ذكره نستخلص مجموعة من النتائج والتي نبينها كالآتي :

- ✓ ظهرت الخصومة بين القدماء والمحدثين مع فئة اللغويين والرواة وكان الهدف من وراءها هو الحفاظ على سلامة اللغة من اللحن واعتمادها كشاهد في تفسير القرءان الكريم.
- ✓تطورت هذه الخصومة لدى اللغويين والرواة لتصبح تعصبا للقديم، وبعدها إلى الشعراء الذين آمنوا بمحدودية الألفاظ والمعاني، الذين اتخذوا من معيار الزمان والمكان شاهدا على قبول الشعر أو رفضه.
- ✓ تطور العصر العباسي وتغير البيئة، ساهم وبشكل كبير في تغيير المفاهيم عند بعض النقاد واللغويين الذين رأوا أن الشعر القديم لم يعد يلبي متطلبات العصر و احتياجاته.
- ✓ أعجب الناس بالشعر المحدث وتناقلوه بينهم مما فرض على النقاد واللغويين والأدباء أمثال الجاحظ والمبرد وابن المعتز وابن قتيبة إلى إنصافه وإعادة الاعتبار له، من خلال خلق ميزان جديد لقياس الشعر يحتكم إليه الطرفان بغض النظر عن الزمان والمكان الذي قيل فيه.
- ✓ يعد الجاحظ ثم من بعده ابن قتيبة هما أول من نظرا إلى الشعر المحدث بعين العدل والإنصاف من خلال المنهج الذي اتبعوه في دراستهم للشعر .
- ✓ أعلن ابن قتيبة في بداية كتابه "الشعر والشعراء" الثورة على القدماء الذين تعصبوا للقديم والذين اتخذوا من الزمان والمكان معياراً لقبول الشعر أو رفضه.
- ✓ وازن ابن قتيبة بين القدماء والمحدثين بميزان الجودة والرداءة ضاربا معيار القدماء عرض الحائط.
- ✓ حاول ابن قتيبة أن يطبق منهجه هذا في بداية كتابه "الشعر والشعراء" حين وازن بين القدماء والمحدثين بذكر الجيد والرديء لكل منهما.

- ✓ لم يستطع ابن قتيبة التخلص من قيود القديم التي أثرت عليه وبشكل كبير أثناء تحليله لبعض القضايا النقدية التي كانت سائدة في ذلك الوقت. (قضية اللفظ والمعنى ،الطبع والصنعة، البناء الفني للقصيدة).
- ✓ شكل هذا التصور عند ابن قتيبة مفارقة نلمحها من خلال مقدمة كتابه "الشعر والشعراء" والتي صرح فيها الهجوم على النهج القديم ثم ما فتئ يتنازل عن موقفه حين أعلن على الشعراء المحدثين الخروج على نمط البناء الفني للقصيدة القديمة، وما يزيد من تأكدنا على ميل ابن قتيبة للقدماء هو إقصاءه لشاعرين محدثين شغلا الساحة النقدية والأدبية في أفضليتهما هما: "البحتري" و"أبو تمام" رائد المحدثين وشيخهم ولعل السبب في إسقاطه له هو مخالفته لقواعد الشعر القديمة (عمود الشعر)،وإغراقه في البديع.
- ✓ تصور ابن قتيبة أتاح الفرصة أمام النقاد واللغويين بعده لدارسة الشعر المحدث والإقبال عليه رواية وتحليلا واستشهادا .
- ✓ وأخيرا لا يسعنا إلا أن نقول أن ابن قتيبة رغم المفارقة النقدية التي وقع فيها، إلا أنه يعتبر نقطة تحول لأفكار وأراء الكثير من النقاد واللغويين الذين جاءوا من بعده، وأسسوا على تصوره نظريات نقدية جديدة أسهمت في الكثير من الأحيان في دفع عجلة تطور النقد بصفة خاصة و الاهتمام بالشعر المحدث بصفة عامة.
- ✓ وفي الأخير لا نريد بدراستنا هاته التي قمنا بها أن ننقص من حق العالم الجليل والقاضي العادل "ابن قتيبة" الذي لو لم يكن له إلا مقدمة الكتاب "الشعر والشعراء" لكان له من الفضل الشيء الكثير.

وإلى هنا قد وصلنا إلى نهاية البحث آملين أن نكون قد وفقنا ولو بالقدر اليسير في طرح هذا الموضوع وإخراجه بالقدر الذي يستحقه عالمنا الجليل ابن قتيبة.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **قائمة المصادر والمراجع:**

1. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: مُحَمَّد يوسف الدقاق،المجلد7، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان،1407هـ-1987م
2. إحسان عباس، تاريخ النقد عند العرب(نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، دار الثقافة بيروت، ط4، لبنان، 1404هـ- 1983م.
3. الأصمعي، فحولة الشعراء، تح: ش .توري قدم لها: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، د .ط. أبي تمام، الديوان، بشرح خطيب التبريزي، ج1، تحقيق مُحَمَّد عبده عزَّام، دار المعارف، ط5.
4. الآمدي، الموازنة بين أبي تمام و البحتري، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، د.ط،1988م.
5. ابن الأنباري، نزهة الالباء في طبقات الادباء، تح: مُحَمَّد ابي الفصل، دار النهضة، مصر، د.ط.
6. أبو تمام، الديوان، بشرح خطيب التبريزي، ج1، تحقيق مُحَمَّد عبده عزَّام، دار المعارف، ط5.
7. جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، طبعة جديدة راجعها وعلق عليها شوقي ضيف، دار الهلال، مصر.
8. حسين الجدوانة، في النقد الأدبي القديم عند العرب، دار اليازوني للنشر، عمان الأردن، د.ط.
9. حسين علي الزعبي، النقد والتجديد في الشعر العباسي بين التقصي والواقع، مجلة جامعة دمشق-المجلد 27، العدد الثالث.
10. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي –العصر العباسي الأول-، دار المعارف، النيل القاهرة، د.ت، ط8.
11. ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ج1، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، ط5، 1981م.

12. ابن طباطبا، عيار الشعر، تح: عبد العزيز ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، 1405هـ-1985م.
13. طه أحمد إبراهيم، تاريخ النقد الأدبي عند العرب[من العصر الجاهلي حتي القرن الرابع الهجري]، بيروت، المكتبة العربية، 1401هـ-1981م.
14. -عبد الحميد سند الجندي، أعلام العرب (ابن قتيبة)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ط.
15. عبد السلام عبد الحفيظ عبد العال، نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا العَلوي، دار الفكر العربي، مطبعة دار القرآن، ميدان الأزهر الشريف، د.ط.
16. أبو الفرج الأصفهاني، أخبار أبي نواس[ملحق الأغاني]، تحقيق علي مهنت وسمير جابر، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.
17. عبد الله ابن المعتز، كتاب البديع، تح: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبتان ط1، 2012م.
18. عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح: مُحَّد الدّالي، مؤسسة الرسالة ،بيروت.
19. عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة، الأنواء في مواسم العرب، صحح عن النسخ المحفوظة في المكاتب الشهيرة،(مكتبة بودلين اكسفورد، تحت رقم 480)، دار الكتب المصرية، القاهرة.
20. عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد مُحَّد شاكر، دار المعارف، القاهرة، د.ط.
21. عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، تح: عبد الرحمن بن يحي اليمني، دار الكتب العلمية، ط1، 1405هـ-1984م.
22. عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة، تأويل مشكل القرءان، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط2، 2007م.

23. عبد الله ابن مسلم ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد1، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، 1343 هـ-1925م.

24. عبد الله مُحَمَّد ابن المعتز، طبقات الشعراء المحدثين، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر 1976م،د.ط.

25. عمرو بن بحر بن عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1، بيروت، 1948م.

26. عمرو بن بحر بن عثمان الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2.

27. عمرو بن بحر بن عثمان الجاحظ، رسائل، تحقيق عبد السلام هارون، ج2، مفاخرة الجواري والغلمان، د.ط.

28. عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، دار المعرفة الجامعية،2000م،د.ط.

29. عثمان موافي، الخصومة بين القدماء والمحدثين في النقد العربي القديم تاريخها وقضاياها، دار المعرفة الجامعية، ط3، مصر2000م.

30. علي عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم وعلي مُحَمَّد البجاوي، دار القلم، ط4،بيروت، لبنان، 1966م.

31. مُحَمَّد ابن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والادب، تح: عبد الحميد هنداوي، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

32. مُحَمَّد بن عبد العني المصري، نظرية أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي، دار جدلاوي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 1986م.

33. مُحَمَّد بن يحي الصولي، أخبار أبي تمام، تح: محمود عساكر، بيروت، لبنان، د.ط.

34. مُحَمَّد زغلول سلام، تاريخ النقد الادبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، دار المعارف.

35. مُحَمَّد زغلول سلام، نوابغ الفكر العربي، ابن قتيبة، دار المعارف، مصر، القاهرة.

36. مُحَمَّد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

37. مُحَمَّد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار النهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، مصر 1996م.

38. المرزباني، الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تح: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط1415،1هـ.

39. ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

الفهرس

❖ فهرس الموضوعات

العنوان **الصفحة**

مقدمة.....أ

مـدخل:.....5

الفصل الأول: النقاد القدماء وقضية القديم والمحدث.....13

المبحث الأول: القديم والمحدث قبل زمن ابن قتيبة.....14

المبحث الثاني: القديم والمحدث في زمن ابن قتيبة..... 21

المبحث الثالث: الصراع بين القديم والمحدث بعد ابن قتيبة..... 34

ابن طباطبا (ت 322 هـ):.....45

سيف الدين الآمدي (551هـ-631هـ):..... 47

المبحث الأول: التكوين المعرفي لابن قتيبة..... 51

الحياة السياسية.....51

الحيـاة الاجتماعية..... 53

مذهبه:.....53

نشأتــه:.....53

وفاته :..... 55

المبحث الثاني: آراؤه النقدية في كتابه الشعر والشعراء..... 56

قضية اللفظ والمعني:.....57

قضية القديم والمحدث:..... 61

قضية الطبع والصنعة:..... 63

بناء القصيدة العربية:.....66

المبحث الثالث: آراء ابن قتيبة في نقده للشعر في كتبه الأخرى..... 70

المبحث الرابع: دراسة وتحليل لموقف ابن قتيبة.....78

خاتمـــة:..... 85

قائمة المصادر والمراجع:.....88